

بحث: تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهد الخليفة العثماني سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الأول سنة 1574م

تأليف: د. محمود السيد الدغيم.

منشورات اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة سنة 1414 هـ/ 1994م

******

Osmanlı deniz kuvvetlerinin II. Selim dönemi (1574) sonuna kadarki tarihi

Yazar: Mahmoud EL-Saied EL-Doghim

Arap tarihçiler cemiyeti baskısı

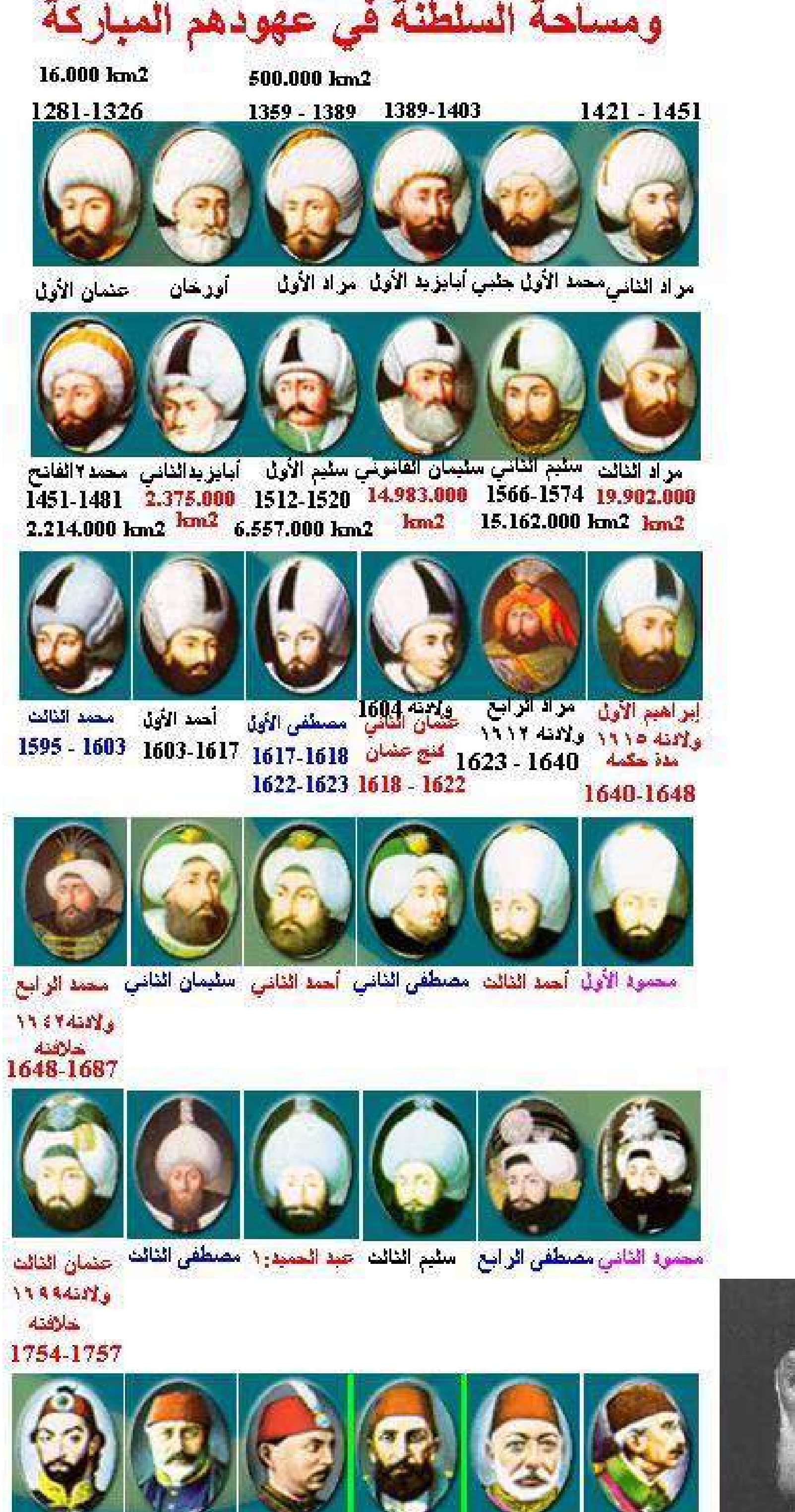
Mısır-Kahire 1414 hicri 1994 miladi

****

***

****

فترات حكم السلاطين والخلفاء العثمانيين ومساحة السلطنة في عهودهم المباركة





عبد المجيد الثاني 1922 1924 م

منشورات اتحاد



القاهرة
١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

الحضارة الإسلامية وعالم البحار

(بحوث ودراسات)

ندوة
عقدها الاتحاد بمقره في القاهرة
٢٢-٢٤ جمادى الأولى ١٤١٤هـ
٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م

المحتويات

محتويات الكتاب الذي ضمَّ بحوث ودراسات ندوة اتحاد المؤرخين العرب

في القاهرة ٢٢-٢٤ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ/ ٦-٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٣م

http://www.dr-mahmoud.com

كلمة الإفتتاح

أجمع العلماء والباحثون على أن الحضارة الإسلامية كانت أعظم حضارة عرفها العالم أجمع فى العصور الوسطى، بمعنى أنها تمثل قمة الرقى الحضارى البشرى فى تلك العصور. وفى ضوء الدراسات التى استهدفت الإطار العام والملامح الأساسية للحضارة الإسلامية، وصفت هذه الحضارة بأنها حضارة إيمان، حضارة محبة وسلام، حضارة سماحة وتسامح، حضارة إنسانية بكل معانى الكلمة، تعمل لخير الإنسان ومنفعته وصلاح أمره.

يقول الله تعالى فى محكم آياته [وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جيمعا منه] . ومعنى هذا أن كل ما فى السموات والأرض مسخر لخدمة الإنسان ونفعه، وبقى على الإنسان أن يحسن الإفادة من هذه النعم ويستخدمها فيما يعود بالنفع والخير.

ومن بين النعم التى سخرها الله تعالى لخير الإنسان ونفعه، يحتل البحر مكانة خاصة مرموقة. يقول عز وجل [الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره]. ويقول جلت قدرته [وما يستوى البحران، هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج، ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها. وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون]. ومن الواضح أن الفلك تجرى فى البحار لا لمجرد استخراج الأسماك والحلى من أصداف والآلىء وغير ذلك، وإنما لتعمل أيضا فى حمل المسافرين والمتاجر، وبذلك تؤدى خدمات جليلة لأهل الدين والعلم والساعين فى طلب الرزق.

وليس هناك شك فى أن العرب - وبخاصة فى جنوب شبه الجزيرة - مرنوا ركوب البحر قبل الإسلام. وفى فجر الإسلام ركب المهاجرون البحر إلى شرق إفريقية وبلاد الحبشة. وبوصول حركة الفتوح الإسلامية إلى شواطىء بحر الروم أو البحر المتوسط، غدت موانى مصر والشام وشمال افريقية، فضلا عن الأندلس

وجزر ذلك البحر، قواعد للهجوم والدفاع. هذا بالاضافة إلى أن البحر المتوسط غدا طريقا سهلا يربط أجزاء الدولة الإسلامية فى المشرق والمغرب بعضها ببعض، ووجد فيه المسلمون نافذة أطلوا منها على العديد من مراكز الحضارات القديمة التى ارتبطت بحوض ذلك البحر.

ومن المزايا التى تمتعت بها الدولة الإسلامية ذلك العدد من المحيطات التى أطلت عليها، مثل المحيط الأطلسى - أو بحر الظلمات - ، والمحيط الهندى - أو بحر العرب — ؛ فضلا عن عدد كبير من البحار الداخلية مثل بحر القلزم أو البحر الأحمر، وبحر قزوين أو بحر الخزر، وبحر بنطش أو بحر القرم، وهو البحر الأسود، وغيرها. ومن الواضح أن هذه البحار هيأت رباطا قويا ربط العديد من أجزاء الدولة بعضها ببعض، فضلا عن تسهيل الاتصال بين دولة الإسلام وبقية أنحاء العالم. وعندما نقول إن الإسلام قد وصل إلى شرق افريقية وجنوب شرق آسيا وبلاد الصين وبعض أجزاء من جنوب أوربا، فضلا عن العديد من الجزر، فإن علينا أن ندرك إن الإسلام لم يصل إلى تلك الأنحاء إلا عن طريق البحر.

حضرات الأخوة الزملاء

من المبالغة أن ندعى أن العرب منذ فجر تاريخهم القديم كانوا أمة بحرية من الطراز الأول. وعلينا أن نعترف من باب الأمانة التاريخية، أن ظروف البيئة جعلت القبائل الضاربة فى جوف شبه الجزيرة العربية أكثر ارتباطا بالبر منها بالبحر. ولعل هذا مما جعل بعض اللاحقين فى أواخر العصور الوسطى يصف العرب بأن مراكبهم الخيول، وليست خيولهم المراكب.

ولكن مانريد أن نؤكده فى هذه الندوة، هو أن العرب ماكادوا ينطلقون خارج شبه الجزيرة فى ظل الإسلام، حتى واجهوا الحقيقة فى شجاعة وتعقل، وأدركوا أن البحر لايشكل أمامهم عائقا وحاجزا وسداً منيعا بقدر ما يشكل معبراً وطريقا ومصدراً للرزق.

ولاينتقص من شأن العرب فى فجر تاريخ الدولة الإسلامية أن يكونوا قد استعانوا بخبرة أهالى البلاد المفتوحة وبخاصة أهل الشام ومصر؛ فالإنسان العربى عرف دائما بحرصه على التعلم والقدرة على انتقاء غذائه الفكرى. وقد شبه بعض الباحثين الغربيين الإنسان العربى المسلم بالتلميذ الذى فاق استاذه، بمعنى أنه استفاد من الحضارات التى صادفها وبخاصة فى إقليم الهلال الخصيب، ثم أضاف وابتكر المزيد من الجديد الذى لم يسبق لغيره أن توصل إليه. وهكذا عرف المسلمون استخدام البوصلة من أهل الصين، ولكنهم استخدموها فى ارشاد السفن فى البحار، لأن الصينيين لم يكونوا أمة بحرية فلم يحاولوا الاستفادة من البوصلة فى البحر، مثلما فعل العرب.

وإذا كان الغرب الأوربى يفخر اليوم بنهضته الحديثة التى توجها بحركة الكشوف الجغرافية، فإن علماء الغرب أنفسهم يعترفون بأن المكتشفين الأوروبيين اعتمدوا فى حركتهم الكشفية على الخرائط التى وضعها الجغرافيون المسلمون، وأنهم عرفوا منهم وأخذوا عنهم استخدام البوصلة، وأنهم لولا معونة المرشدين المسلمين - أمثال ابن ماجد الملاح - ما استطاع فاسكو دى جاما الوصول إلى جنوب القارة الآسيوية عن طريق الطواف بحرا حول افريقية، ولاستغرقت هذه العملية وقتا أطول. أما كولمبس فيكفى أن دائرة المعارف الفرنسية تذكر فى صراحة أنه اعتمد على الخرائط التى وضعها الجغرافيون المسلمون فى رحلته التى أوصلته إلى العالم الجديد.

حضرات الأخوة الزملاء

إن هذا الجانب من جوانب الحضارة الإسلامية فى حاجة إلى كثير من البحث والدراسة، والتمحيص والنقاش. وعندما اختار اتحاد المؤرخين العرب موضوع "الحضارة الإسلامية وعالم البحار" محوراً لهذه الندوة، فإنه استهدف أن يأتى بجديد فى مجال خدمة الحضارة البشرية.

ولاندعى أننا فى هذه الندوة سنتمكن من أن نوفى الموضوع حقه كاملا. فالموضوع كبير خطير متشعب الجوانب. ولكننا نأمل من خلال هذا اللقاء أن نتمكن من فتح الأبواب أمام مزيد من الجهود والبحوث التى تلقى الضوء على حقيقة كبرى، هى أن النشاط الحضارى للمسلمين فى عالم البحر لم يكن بأى حال أقل من نشاطهم الحضارى فى عالم البر.

وفقنا الله جميعا للعمل لخير هذه الأمة.

أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور
رئيس اتحاد المؤرخين العرب

ملاحظة: كتبت هذا البحث منذ ربع قرن، وخلال الفترة التي أعقبت كتابة البحث قرأت الكثير من الكتب، واستجدت لي معلومات كثيرة منها: أن هولاكو كان سيعيا باطنيا، وهذا مذكور في كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، وتيمورلن كان شيعيا، ومجازره دليل على باطنيته وهو من سلالة الإليخانيين المغول الذين فرضوا التشيع بالسيف في عهد ملكهم أوليجايتو الذي نقش أسماء الأئمة الباطنيين 12 على نقوده. وحسن أوزون عدو السلطان الفاتح هو جدّ إسماعيل الصفوي الباطني، وصديق الشاه هو قانصوه الغوري الشيعي وهذه المعلومة موجودة في كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي النهروالي، وهنالك الكثير من المعلومات التي نشرت بعضها في جريدة الحياة حينما كتبت سلسلة التاريخ العثماني حتى عهد السلطان أبايزيد الثاني، وتحدثت عن ذلك التاريخ في عدد من البرامج التلفزيونية، وكلها موجودة في موقعي

/http://www.dr-mahmoud.com

أضــــواء على
تاريخ البحرية الإسلامية العثمانية
حتى نهاية عهد السلطان سليم الثانى

بقـلـم
محـمود السيد الدغـيم (*)

ملخص البحث

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على خاتم أنبياء الله، وبعد.

إن البحرية العثمانية حلقةٌ هامة من حلقات البحرية الإسلامية، ولهذا فقد مهَّدتُ لهذا البحث بتمهيدٍ عن البحر والبحرية فى القرآن الكريم، وفى الحديث النبوى الشريف، ثم أوجزت الحديث عن الأسطول الإسلامى فى عهود الخلفاء الراشدين، والخلفاء الأمويين والعباسيين - رضى الله عنهم أجمعين - وبحثت موضوعَ ظهور الدولة العثمانية ونشأة بحريتها بعد فتح بورصة (بروسة) سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م، واستيلاء الأمير سليمانَ بن أورخانَ على السفن الرومية سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م، وما أعقبَهُ من تطور سلاحِ البحرية العثمانية فى عهدِ السلطانِ يلدرم بايزيد (الأول) الذى حاصرَ اسطنبول سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩٧م، والسلطانِ محمد چلبى الذى خاض اسطولُهُ معركة چنق قلعة سنة ١٤١٦م، والسلطان مرادِ الثانى الذى حصلت فى زمانه معركةُ خليجِ غليبولى سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م، وخليفته ابنه محمد الفاتح (٨٥٥ - ٨٦٦ هـ / ١٤٥١ - ١٤٨١م) الذى أصبحتِ البحريةُ فى أيامه قويةً، وساهمت فى فتح اسطنبول، وفى عهد ابنه بايزيد الثانى حيث حصلتْ معركةُ لابنتو الأولى سنة ٩٠٤هـ / ١٤٨٨م، ثم بحثتُ وضعَ البحريةِ فى عهد السلطان سليم الأول (٩١٨ - ٩٢٦هـ / ١٥١٢ - ١٥٢٠م) وعهدِ ابنه سليمانَ القانونى (٩٢٦ - ٩٧٤هـ / ١٥٢٠ - ١٥٦٦م) حيث ساد الأسطول العثمانى فى البحرِ

(*) باحث ومفكر سورى مقيم فى لندن - عضو اتحاد المؤرخين العرب القاهرة .

الأبيض المتوسط، والبحرِ الأسود، وبحرِ ايجةَ، وبحر مرمرةَ، والبحر الأحمرِ بفضلِ بناءِ اسطول السويسِ الذى وصل إلى عدن سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م ومن ثَمَّ وصل إلى سواحل جنوبِ شرق آسيا، كما استعرضتُ ظهورَ آل بربروس، وأعمالَهُمُ البحريةَ المجيدة وانقاذَهم عشرات الآلاف من مسلمى الأندلسِ، وحمايةَ افريقية من الخطر الأسبانى، وتناولتُ البحريةَ بشكلٍ مفصَّلٍ فى زمن السلطان سليم الثانى (٩٧٤ - ٩٨٢هـ / ١٥٦٦ - ١٥٧٤م) حيث سيطرَ الأسطولُ العثمانىُ على مناطقَ واسعةٍ امتدت من سواحل ماليزيا حتى سواحل المغرب العربى، وفُتحَتْ فى زمانه جزيرةُ قبرص سنة ٩٧٧هـ / ١٥٧٠م كما فُتحَتْ موسكو سنة ١٥٧١م، وحُرِّرتْ تونس سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م كما حُررتْ طرابلسُ الغرب من الاحتلال الأسبانى، وتناولتُ بالتفصيل معركةَ لابنتو (٩٧٩هـ / ١٥٧١م) التى كُسرَ فيها الأسطول العثمانى ولكنه استعادَ قوّتَهُ فى السنة التالية بفضل جهود السلطان سليم الثانى الذى توفى سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م. وأنصفت هذا السلطانَ فأوضحت أعماله المجيدةَ التى تدل على علُوِّ همته، رغم ما قذفته به الجاحدون.

البحر والبحرية في القرآن الكريم

بحث د. محمود السيد الدغيم

علاقة الإنسان بالماء علاقة أزلية ، ومصداق ذلك قول الله تعالى : (وهو الذي خلَقَ مِنَ الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً) (١) وشأن الإنسان في ذلك كشأن بقية المخلوقات في قوله تعالى : (والله خلق كل دابة من ماء)(٢) بل شأنه كشأن كل شيء مردّه إلى الماء إذ قال تعالى : (وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حي)(٣) .

لقد خلق الله تعالى الماء قبل الإنسان ، وهذا واضح في قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)(٤) . فالماء موجود قبل وجود كوكبنا الأرضي، ومساحاته أوسع من مساحات البر في كوكبنا ، وأوسعها المحيطات فالبحار فالبحيرات فالأنهار فالينابيع، وتعامل الإنسان مع مصادر الماء متنوع حيث استخدم الماء شراباً ، كما ركب الماء في ترحاله ، وفي هذا يقول الله تعالى : (هو الذي يسيركم في البر والبحر) (٥) وقوله تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر (٦) . وقوله تعالى (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار)(٧)

لقد ارتبط مصير الإنسان بوجود الماء شأنه - في ذلك - شأن بقية المخلوقات ، واختلفت طُرُقُ تعامل الإنسان مع مصادر المياه عن طُرُقِ تعامل بقية المخلوقات ، حيث بذل الإنس جهوداً متواصلة من أجل إخضاع مصادر المياه والسيطرة عليها . وهداه الله إلى اختراع وسائل المواصلات المائية التي عبرت الأنهار والبحار والمحيطات ، ويسّرت للإنسان فوائد

كثيرة في مجالات التجارة ، وتأمين الأغذية التي أحلّها الله سبحانه وتعالى بقوله : (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة)[٨] وقولـــه تعالى : (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً)[٩] ، ولم يقتصر دور وسائل المواصلات المائية على التجارة والصيد بل أتخذت كملجأ يعصم الانس من الهلاك غرقاً ، وقد ورد ذكر ذلك في قوله تعالى : (فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ)[١٠] هكذا نجا ركاب السفينة وغرق الآخرون (وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً * وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً)[١١]

ورد ذكر السفينة في القرآن الكريم أربع مرات ، ثلاث منها في سورة الكهف[١٢] ، في قصة موسى والخضر عليهما السلام ، ومرة في سورة العنكبوت في قوله تعالى : (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون* فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين)[١٣] وورد ذكر الفُلْك ثلاثاً وعشرين مرة[١٤] ، وهذه الإشارات تدل على استعمال السفن منذ زمن نوح [١٥]- عليه السلام - أما الزمن الذي سبق مجيء نوح - عليه السلام - فلا توجد إشارة قرآنية إلى نوعية وسائل مواصلاته المائية .

البحر والبحرية في الحديث النبوي الشريف

كان ركوب البحر شائعاً في سواحل شبه جزيرة العرب أيام الجاهلية ، ولما جاء الاسلام ركب المسلمون البحر ، و ، بَعَثَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن مرة الضمري - رضي الله تعالى عنه - في سنة ست هـ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام ، فأسلم النجاشي - رضي الله تعالى عنه - وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأرسل إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ويبعث بها إليه ، ويحمل مَنْ عنده مِن المسلمين ففعل ،[١٦] وروى البخاري عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -

خبره الذي جاء فيه : « فركبنا سفينة ، فألقتنا إلى النجاشي بالحبشة ، ووافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر . إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعثنا ها هنا وأمرنا بالاقامة ، فأقيموا معنا . فأقمنا معه حتى قَدِمْنا جميعاً ، فوافقنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين افتتح خيبر . . » [١٧] وروى الامام مالك[١٨] ـ رضي الله عنه ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : « جاء رجل إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله إنّا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ، أفنتوضأ من ماء البحر ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : هو الطهور ماؤه الحل ميته[١٩]، وأشار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المسلمين الفاتحيين يركبون البحر في سبيل الله حيث قال ـ مخاطباً أمّ حرام[٢٠] زوج عبادة بن الصامت ـ « ناس من أمتي عُرِضوا عليّ غزاةً في سبيل الله ، يركبون ثبج هذا البحر ، ملوكاً على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة . قالت : فقلت : يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم (. . .) فقال : أنت من الأولين » [٢١] فركبت البحر مع من ركب بقيادة معاوية بن أبي سفيان ـ رضى الله عنهم ـ فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت ، وضريحها موجود إلى جوار جامع « خالة سلطان » في قُبرس وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ سنة ٢٧هـ / ٦٤٨م، وقيل سنة ٢٨هـ/ ٦٤٩م ، وقيل سنة ٣٣هـ/ ٦٥٤م [٢٢]

الأسطول الإسلامي

نستطيع القول : ان المسلمين قد امتلكوا اسطولاً بحرياً متطوراً منذ زمن الخلفاء الراشدين، واستمر تطوره أيام الأمويين في الشام (٤٠ ـ ١٣٢ هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠ م) والعباسيين في بغداد (١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ / ٧٥٠ ـ ١٢٥٨ م) وفي القاهرة (٦٥٩ ـ ٩٢٢هـ / ١٢٦١ ـ ١٥١٦م) والعثمانيين في تركيا (٩٢٢ ـ ١٣٤٢ هـ / ١٥١٦ ـ ١٩٢٣ م) .

ظهور الدولة العثمانية ، ونشأة بحريتها

بدأت الإمارة العثمانية كإمارة برية في ظل الدولة السلجوقية عندما أقطع علاءُ الدين السلجوقي أرطغرلَ وقومه أرضاً تقع بين الروم البيزنطيين وإمارة قونية السلجوقية ، ثم توفي أرطغرل سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م ، فخلفه ابنه عثمان الأول (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦ م) الذي وسّع إمارته ، ومنحه علاء الدين لقب (بيك) ثم اتخذ من مدينة (يني شهر)[٢٣] عاصمة له سنة ٧٠١ هـ/ ١٣٠١ م ، ثم نقل أورخان العاصمة إلى بروسا (بورصة) [٢٤] بعد ما فتحها سنة ٧١٧هـ / ١٣١٧م ، واعتنق حاكمها « أفرينوس»[٢٥] الدين الاسلامي ، وصار قائداً عثمانياً ومنح لقب بك وبهذا أصبحت العاصمة العثمانية عاصمة بحرية لأنها تقع على الساحل الجنوبي الشرقي لبحر مرمرة ، وامتدت سواحل السلطنة العثمانية (سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٦ م) من سواحل بحر مرمرة إلى سواحل البحر الأسود ، ثم تسلم الملك السلطان أورخان الأول ، فشكل الجيش الانكشاري « يني چاره » الجيش الجديد . الذي لعب دوراً فعالاً في الفتوحات الإسلامية .

استيلاء العثمانيين على السفن البيزنطية

وفي سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧ م عبر الأمير سليمان بن أورخان مضيق الدردنيل ليلاً مع أربعين رجلاً ، ثم استولوا على السفن الرومية التي كانت راسية هناك ، وانتقلوا بها شرقاً ثم نقلوا عليها آلافا من الجنود العثمانيين إلى الطرف الأوروبيّ فتمكنوا من فتح قلعة (تزنب) و « أبسالا » و (غاليبولى) و (رود ستو) وغير ذلك ، وأصبحت قلعة (چنق قلعة) معقلاً عثمانياً[٢٦] ، وهكذا ضمّتْ إلى الاسطول العثماني مجموعة السفن التي غنموها من الروم وجّهز سليمان ميناء (آيدنجك) ثم توفي الأمير سليمان باشا سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٩ م، وقيل : سنة ١٣٥٧م ، وفي سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠ م توفي السلطان أورخان فخلفه ابنه مراد الأول ،

ففتح أدرنة سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١ م، واتخذها عاصمة للسلطنة العثمانية[٢٧] ، وأصبح الأسطول البحري ضرورياً للربط بين شطري السلطنة الممتدة من آسيا إلى أوربا حيث فتحت بلغاريا وصربيا، واستشهد السلطان مراد الأول سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٩م بعد تحقيق الانتصار على الصرب في معركة قوص أوه (كوسوڤو) ، وكان عمره (٦٣,٥) سنة بعد سلطنة دامت ٣٠ سنة قمرية[٢٨] ، فخلفه ابنه يلدرم بايزيد الذي طهّر شواطىء بحر ايجه الآسيوية من بقايا الروم ، وبذلك حاز العثمانيون أعظم الموانئ في بحر ايجة وهي : ، آيدن ، ومنتشة ، كما حازوا أسطول صاروخان ونفذوا من سواحل منتشه إلى البحر الأبيض المتوسط[٢٩] ، وحاصروا اسطنبول سنة ٧٩٤هـ / سنة ١٣٩٧ م، وأصبح الأسطول العثماني مكوناً من ٦٠ قطعة بحرية ولكن تيمور لنك هاجم الدولة العثمانية ، وخاض معركة أنقره في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤ هـ / ٢٠ / ٧ / ١٤٠٢م ، واسفرت المعركة عن وقوع السلطان بايزيد في الأسر ، ثم توفي[٣٠]، ولكن محمداً (چلبى) ، الأول ، أستقل بمدينة توقات (طوقات) وآماصيا، وبدأ مقاومة التتار فحرر آخاه موسى ، ثم وحّد السلطنة من جديد سنة ٨١٣ هـ وخاض الأسطول العثماني معركة چنق قلعة سنة ١٤١٦ م ، ضد أسطول البندقية وانتصر عليه .[٣١] وتوفي سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١ م **فخلفه ابنه مراد الثاني** بناءً على وصيته . ومن مآثر السلطان محمد أنه ، أول سلطان عثماني أرسل الهدية السنوية إلى أمير مكة ، التي يطلق عليها اسم الصُرّة[٣٢] ،

حاصر السلطان مراد الثاني شخصياً مدينة **القسطنطينية** سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م ،حصاراً شديداً ، وهذا هو الحصار الرابع للعثمانيين إلا انها امتنعت عليه ،[٣٣] لحصانتها ثم قام الاسطول العثماني بالقضاء على امارتيّ : منتشة ، موغلان ، وآيدن سنة ٨٢٨هـ / ١٤٢٥م ، ووصل الاسطول العثماني إلى البحر الأبيض المتوسط ، واستولى السلطان مراد الثاني على جميع القلاع والحصون الرومية على شواطىء البحر الأسود وسواحل

الروملي[٣٤] ، ثم عبر السلطان بجيشه نهر الطونة (الدانوب) [٣٥] من ودين[٣٦] سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٦ م، وانتصر على الجيش المجري سنة ٨٣١ هـ/ ١٤٢٨م في معركة مواجهة تصادمية (قادها سنان بك) ثم خاض الأسطول العثماني معركة خليج غليبولي[٣٧] ، Geli-bolu ، سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م، وانتصر فيها على اسطول أميرالبحر في خليج البندقية ،اندراوس موكينكو ، الذي ، هاجم العمارة العثمانية في خليج غليبولي ولم يقوَ على نيرانها فارتد مقهوراً . ولقد كانت هذه النُصرة البحرية من الأسباب التي أعانت العثمانيين على فتح سلانيك [٣٨] ، بشكل نهائي في ، سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٩م ، ولما وقعت سلانيك في أيدي العثمانيين تزعزعت أركان سلطنة الروم[٣٩] ، وكان قَصْدُ البنادقة ، احراق السفن العثمانيه الراسية في ميناء غليبولي بهدف عرقلة مساعي السلطان[٤٠] ، مراد . وبعد النصر العثماني وقّعت جمهورية البندقية على معاهدة غليبولي ، Gelibolu ، [٤١] سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣١م، وعاش السلطان مراد الثاني مجاهداً حتى وافته المنية في ٥ محرم سنة ٨٥٥ هـ / ٧ / ٢ / ١٤٥١ ، فنقل جثمانه إلى بورصة بعدما حكم ٣٠ سنة وبلغ عمره ٤٩ سنة [٤٢] .

وعندما تـولى السلطنة محـمـد الثاني (الفاتح) (٨٥٥ – ٨٦٦ هـ / ١٤٥١ – ١٤٨١ م) بعد والده ؛ فتح مدينة اسطنبول[٤٣] وتم فتحها في يوم الثلاثاء، عشرين جمادى الأولى سنة ٨٥٧هـ / ٢٩ أيار (مايس) سنة ١٤٥٣ م ، وكانت القسطنطينية قد حوصرت ـ من قبل ـ ، تسعا وعشرين مرة، وكانت المنصورة ، وكان بها من السكان إذ ذاك أزيد من ٣٠٠٠٠ نسمة [٤٤] ، وأغرب أمر جرى في معركة فتح اسطنبول هو : ، تسيير السفن الحربية على اليبس مسافة فرسخ من عند المكان المسمى الآن طولمة باغچة [٤٥] إلى المكان المدعو: قاسم باشا [٤٦] ، مـروراً بمنطقـة (بيك أوغلى)[٤٧] ، وكيفية ذلك أنه أمرَ بناءً على إشارة من المهندسين بتغطية الأرض ـ التي يُراد سحب السفن الحربية عليها ـ بألواح

خشب الصنوبر المدهون بالشحم حتى صارت كالمزلقان ثم سحبوها عليها - وكانت عبارة عن ثمانين غراباً (٤٨) ، وسبعين سفينة خفيفة - بقوة الأيدي والآلات المستعملة إذ ذاك . لأنه رأى تعذر إدخال السفن إلى ميناء المدينة لأنها كانت مقفلة بأضخم السلاسل الحديدية ، ومحصّنة بأقوى الآلات الدفاعية وأجودها ، فتَمَّتْ جميع هذه الأعمال في ليلة واحدة فقط ، وعند الصباح اندهش المحصورون تمام الاندهاش حينما شاهدوا أسطولاً حربياً تام المعدات؛ انحدر من الشاطيء إلى مينائهم ، ثم أنشأ العثمانيون في نفس ذلك اليوم جسراً عظيماً من السفن المذكورة ، ونصبوا عليه إحدى بطارياتهم الأربعة عشر ، كل ذلك على مرأى من المحصورين (. . .) ولما علم الامبراطور ضعف عساكره أمام عسكر العثمانيين أرسل يستغيث بأوروبا النصرانية (. . .) ولما كان لمدينة جنوة(٤٩) منافع تجارية ومواصلات مستمرة مع القسطنطينية ، ولها عدة مخازن تجارية بجهة غلطة(٥٠) أرسلت إلى الامبراطور دونمة (٥١) مؤلفة من خمس سفن حربية تحت إمرة رجل شجاع يدعى جوستنياني (٥٢) ومعه ستة آلاف جندي (. .) واجتهد ذلك القائد الجنويزي (٥٣) مراراً في إحراق السفن العثمانية فلم ينجح ، (٥٤) وكان قائد البحرية العثمانية في معركة فتح اسطنبول ، الأميرال بلطة أوغلى سليمان بك ، (٥٥) وبعد الفتح ، أخذ الفاتح محلة غلطة ، (٥٦) من حوزة جمهورية جنوة ، وأنهى تجارة جنوة الحرة في البحر الأسود ، وهكذا خرجت جنوة من عداد الدول العظمى (. . .) وأعلن الفاتح مدينة اسطنبول مركزاً للدولة ومدينة للعرش(٥٧) ، وبعد فتح اسطنبول اعتمدت الدول الأوربية على وضع المدَافِع على السفن ، وراحت أوروبا «ترمي بنفسها بكل قوة نحو البحار المفتوحة ، بغية ايجاد طرق جديدة ، لتعويض احتياطي ذهبها المفقود (٥٨) ، واضطربت أحوال «سكان مورة والجزائر المجاورة لها ، وتركوا مواطنهم هائمين على وجوههم لا يدرون أي جهة يقصدون ، وكان البحر مغطى بالسفن المقِلّة للأموال والعائلات الأغريقية (٥٩) . يلتجئون إلى الجبال والأديرة، والجزائر التي يسكنها

البنـادقة والجنويزيون[٦٠] .»

بعد فتح اسطنبول ازداد نشاط الاسطول العثماني « فهاجمت ٨٠ قطعة من الأسطول الهمايوني (العثماني) جزيرة رودس التابعة لفرسان القديس يوحنا سنة ١٤٥٥ م ولم تفتحها[٦١] ، وخاض الأسطول العثماني المكون من ٢٠٠ مركب معركة بلغراد لكن قائد المجر «جان هونياد ، هاجم اساطيل العثمانيين وأتلف منها قسماً عظيماً ، [٦٢] وكان ذلك سنة ٨٦٠ هـ / ١٤٥٦ م ، وفي سنة ٨٦٤ هـ / ١٤٦٠ م ساهم اسطول عثماني مؤلف من « ١٠٠ غراب حربي ، [٦٣] بفتح قسطموني [٦٤] وسينوب [٦٥] – على ساحل البحر الأسود– كما ساهم الاسطول العثماني بفتح طرابزون [٦٦] سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦١م حيث « دخل الأمـير كاظم بك مع الأسطول إلى ميناء طرابزون ، فاستسلم الامبراطور داود (ديفيد) كومنينوس « David Komnenos ، دون أن يشهر السلاح [٦٧] وقد خضعت سواحل البحر الأسود الجنوبية للسيطرة العثمانية المباشرة بعد حملة ٨٦٥ هـ / ١٤٦١م .» وكان العثمانيون عند حصارهم مدينة طرابزون ، قد وجدوا بفرضتها سفينة جديدة حمولتها مائة طن واثنا عشر طناً ، فأرسلوها إلى الآستانة لعظم حجمها ، ولما عاينوها اتجهت أنظارهم للتقدم في فن بناء السفن واتخذوا تلك السفينة مثالاً يحذون عليه ، وشيدوا سفينة مثلها لكنها أعظم منها جسامة ؛ حمولتها ٣٧٠ طن ، ولكن يبدو أنهم لم يتقنوا عملها ؛ لأنه حدث عندما انتهت وباشر العمال انزالها إلى البحر؛ اختل توازنها فهوت إلى قاع البحر ، وقد ادعوا إذ ذاك ان الموقع الذي شيدت فيه غير مناسب لابتناء السفن ، فلذا نقلت دار الصناعة إلى محلها الحالي . .»[٦٨] وفي سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢م « ساق السلطان أسطولاً مؤلفاً من مائتي سفينة إلى نهر الطونة (الدانوب) فأوقعوا بجنود تلك البلاد ، وفرّ الأمير ولاد [٦٩] ـ المذكور إلى بلاد المجر [٧٠] ، وفي سنة ٨٦٦هـ / ١٤٦٢ قاد الفاتح الحملة السلطانية الرابعة عشرة ، وهي حملة البوسنة الأولى حيث تم فتحها كاملة ، ثم « قام الفاتح بعملية انزال على جزيرة آيوالق « Ayvalik ،

بواسطة اسطول مكون من ٦٧ قطعة بحرية ، وأثناء ذلك أمر الفاتح بإنشاء قلعتين متقابلتين في (بوغاز چنق قلعة)[٧١] للسيطرة عليه بالنار المتقابلة ، على غرار (بوغاز اسطنبول) [٧٢] فشيد متاريس واستحكامات (قلعة سلطانية) في چنق قلسة - من جهة آسيا - و(قلعة كليت البحر) : قفل البحر - في جهة أوروبا - (غاليبولي) [٧٣] . ، وقد أزعج نمو القوة البحرية العثمانية دول أوروبا ، ولا سيما بعدما أنشأ الفاتح الكثير من السفن مما مكن الأسطول العثماني من فتح جزيرة مديللي (٧٤) سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢ م ، وبفتحها تمَّ تأمين ممر مضيق الدردنيل(الدوغاز) وقد قاد الحملة الوزير محمود باشا ، ومن وقتذاك أخذ السلطان يشيد الحصون والقلاع في (بوغاز الدردنيل) مضيق الدرنيل ، وجزيرة بوزجة؛ لحماية طريق القسطنطينية[٧٥] ، وفي صيف سنة ٨٧٣هـ / ١٤٧٠ م قاد الفاتح (الحملة الهمايونية ٢١) ضد البندقية ففتح جزيرة اغريبوز (نغربونت)[٧٦] اكبر جزر بحر ايجة ، وحررت من البنادقة بعد ما حكموها ٢٦٠ سنة (١٢١٠ - ١٤٧٠ م) وكان الأسطول العثماني مكوناً من ١٠٠ سفينة بقيادة محمود باشا ؛ فى حين كان أسطول البندقية مؤلفاً من ٨٠ سفينة بقيادة الأميرال نيقولا كومانيل NICOLO CAMANLE، وقد صنع العثمانيون جسراً من مئتي سفينة طوله ٥ كم ، عبر عليه ٧٠٠٠٠ جندي عثماني ، فارتفعت معنويات الجيش العثماني في الوقت الذي بدأت أوروبا تهتز خوفاً من آل عثمان ، وهكذا استمر الفاتح فى إعداد الأساطيل حتى تمكن من فتح بلاد القرم[٧٧]ففي ، سنة ٨٨٠هـ / ١٤٧٣م أمر السلطان وزيره الأعظم كديك أحمد باشا بالذهاب إلى تلك الجهات من أجل فتحها وطرد (الجنويين) منها ؛ وقد خرج إليها يقود ٣٠٠ سفينة[٧٨] بين حربية ونقلية ، وأخضع البلاد التي كانت في قبضة (الجنويين) بأكملها وطردهم من تلك الأطراف (. . .) وبعد ذلك صارت بلاد القرم ولاية ممتازة تابعة للدولة العثمانية (. . .) وفي سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م أرسل السلطان أسطولاً مركباً من ثلاثين سفينة تحت قيادة سنجق بك

(فوجه ايلي) وفتح قلعة بونة وكانت باقية بيد (الجنويين) في البحر قرب آزاق (آزوف)[٧٩] ، وكانت آخر المعارك البحرية أيام الفاتح معركة رودس[٨٠] التي لم يمكن فتحها رغم حصارها شهرين و١٢ يوماً سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠ م، ولكن تم فتح جزر اليونان (أيونيا) كفالونيا KEFALALONYA ، زانتا ZANTA ، زاكينثوس ZAKYNTHOS، سانت ماورا SANT MAURA ، وكان السلطان محمد الفاتح قد اعتزم فتح إيطاليا ولكنه توفي [٨١] ، في يوم ٤ ربيع الأول سنة ٨٨٦ هـ / ٣ / ٥ / ١٤٨١م (. .) عن ثلاث وخمسين سنة بعد أن حكم ٣١ سنة [٨٢] ،

وكان السلطان بايزيد قد تولى الخلافة سنة (٨٨٦ ـ ٩١٨ / ١٤٨١ ـ ١٥١٢ م) بعد صراع مع أخيه (جم) الذي لجأ إلى حمى السلطان قايتباي في مصر، وراح يناوش السلطان الجديد ولكنه هزم قرب جبال طوروس ، فعاد إلى مصر ومنها إلى جزيرة رودس سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢ م ، حيث تعاون مع فرسان القديس يوحنا ضد أخيه السلطان ، وأثناء تلك الاضطرابات التي آثارها الأميرجم بين مصر والآستانة ، انتهز البنادقة الفرصة؛ وأرسلوا أساطيلهم لمهاجمة سواحل الدولة العثمانية ، ولكن السلطان لم يلبث ان تخلص من تلك المشاكل فأصدر أمراً باستعداد (العمارة) وتجديد سفينتين طول كل منهما ١٨٠ قدماً . وأن ينزل فيهما ألفا محارب خلاف ما بهما من الجنود البحرية لصد البنادقة عن تعدياتهم [٨٣] .

معركة لابنتو Lépantes الأولى

لما تمت المعدات أقلعت (الدونتما) سنة ٩٠٤هـ / ١٤٨٨ م تحت قيادة (القبودان) داود باشا ، وكانت منقسمة إلى قسمين أحدهما تحت قيادة كمال رئيس[٨٤] ، والآخر تحت قيادة براق رئيس ، لطرد البنادقة من القلاع الباقية في أيديهم بشبه جزيرة (المورة) ثم وصل المدد إلى قسم كمال رئيس حتى بلغت عمارته ٣٠٠ سفينة مختلفة النوع والقدر ، وكانت

(عمارة) البنادقة تحت إمارة « انطوني فريماني » وكانت مركبة من ٣٦ سفينة من نوع الغالي ، و ٥٠ من نوع الغليون ، و٤٠ سفينة نقلية ، وبهذا كانت تفوق (العمارة) العثمانية قوة وضخامة ، وعلى الأخص عندما انضمت إليها أساطيل بعض الدول الأوروبية البحرية التي صيرتها أعظم مما كانت عليه قبلاً ، وكان رسوها أمام قلعة متون « Modon » - الكائنة في شمال جزيرة (سابيانجة) بالجنوب الغربي من (المورة) وبقيت تلك (العمارة) في انتظار (العمارة) العثمانية حتى وصلت إلى تلك الجهة بعد مضي ثلاثة شهور من خروجها، وعليها نيف وعشرون ألف مقاتل ، وبعد وصولها بقيت عشرين يوماً بلا قتال ريثما أخذت كفايتها من المياه والذخائر ، ثم شكل كمال رئيس مجلساً حربياً من الأفراد للاتفاق على أحسن طريقة يمكن أتخاذها للقتال ، فتقرر بعد المداولة أن يحاربوا العدو قبل الدخول في (**جون اينه بختي** [٨٥] ، Lépantes ، (المدعو الآن : بجون بتراس) وبناء على ذلك تقدمت (الدونما) العثمانية ، وأخذت في إطلاق مدافعها على اساطيل البنادقة التي قابلتها بنيران قوية ، ثم حملت عليها والتحمت السفن ببعضها وكانت جيوش العثمانيين متشوقة للكفاح رغما عن التعب الذي صادفوه أثناء الطريق ، (...) فانقضوا على عدوهم انقضاضاً آذنه بالويل والدمار ، فلم يكن إلا القليل من الزمن حتى لحق البنادقة ومساعديهم ما لحقهم من الهزيمة ، وتم الانتصار لكمال رئيس (. . .) وانسحب أمير البحر « أنطوني فريماني » [٨٦] بباقي سفن (عمارته) ورسا بها في فم (جون اينه بختي) فلم يشعر إلا والعمارة العثمانية قد أطبقت عليه ثانية ، فاضطرا إلى الانسحاب بمراكبه عائداً إلى بلده البندقية خوفاً من ضياعها هي الأخري ، فلما وصل ، وعرض على حكومته تقرير الواقعة تعرض للمحاكمه، فحكم عليه بتجريده من رُتبه ، ونزعت (العمارة) من تحت قيادته ، وسلمت لأميرال آخر يسمي : تراويسانو .

وفي تلك الاثناء كان السلطان بايزيد الثاني تقدم بجيوشه براً إلى قلعة (اينه بختي)

فحاصرها ، وأمر (العمارة) بحصارها بحراً ، وبذلك سلمت القلعة ، ثم عادت (الدونما) العثمانية بعد ذلك إلى الآستانة لتمضية فصل الشتاء بها كالعادة السنوية وكان هرسك زاده أحمد باشا قائدا على الجيوش البرية ومعه مصطفى باشا فعادوا بمعية السلطان الى أدرنة، وفي شتاء سنة ٩٠٥هـ/١٤٨٩م استولت سفائن البنادقة على جزيرة « كفالونيا » وهاجموا ميناء « پرويزة » وأحرقوا بعض السفن العثمانية التي كانت راسية فيها .

ولما وصلت هذه الاخبار الى الاستانة في سنة ٩٠٦/ ١٤٩٠م أمر السلطان العمارة بحصار قلعة متون السابق ذكرها بحراً؛ ونهض هو بجيش عظيم براً من أدرنة الى هذه القلعة وعند وصول العمارة اليها تلقاها الاميرال « تراويسانو » بأساطيل البنادقة فدار بينهما قتال عظيم جداً وأخيراً دارت الدائرة على الاميرال المذكور فعاد بالخيبة بعد ان خسر كثيرا من سفنه واستولت الدونما العثمانية على سفينتين عظيمتين من سفن البنادقة أضافتهما الى العمارة العثمانية ، واستولى العثمانيون أيضاً على قلعتي متون وقرون (Coron) ثم دخل السلطان المورة بجيوشه ، ولما رأى الاميرال « تراو يسانو » ذلك هاجم ميناء « ناوارين: ناڤارين » واستولى عليها ومع ذلك فلم يمهله البطل كمال رئيس الشهير في الحروب الاندلسية بل تعقبه بثلاثين سفينة ، وحمل بها على أساطيله في ميناء « ناوارين » المذكورة وبعد فترة قصيرة من الزمن استولى على ثمان مراكب من أسطول البنادقة المذكورة ، واسترد منهم قلعة « ناوارين » فعاد الاميرال « تراويسانو » بعمارته منهزماً ، ومن شدة تأثره - مما ناله من الخسران والانهزام - أصيب بمرض شديد مات بسببه ، سيما وأن مثل هذا الانهزام كان السبب الوحيد في محاكمة سابقه وتجريده من رتبه ، وان جمهورية البنادقة قد جعلته محل ثقتها ، وموضع الامل بفوز عمارتها ونجاحها فلم يكن منه الا خيبة المسعى وعكس ما كانت تأمله فيه .

وتصادف ان الاسبان أرسلوا سنة ٩٠٧ أسطولاً مؤلفاً من ثلاثين سفينة تحت قيادة

الاميرال « غونسالو » الملقب : بكيد » ـ فالتقى بأساطيل البنادقة الذين اشتد ازرهم وصمموا على معاودة الحرب للأخذ بالثأر ، وعادت العمارتان وهاجمتا في الشتاء « كفالونيا » و « دارج » واستولتا عليهما ثم وصلتا الى بوغاز الدردنيل، وأنزلتا العساكر بجزيرة مديللي ، واستولتا على قلعتها، ولما بلغت هذه الأخبار القسطنطينية أرسلت الدولة في الحال أساطيلها تحت قيادة كمال رئيس – المتقدم الذكر – وجيشاً عظيماً ، تحت قيادة هرسك اوغلى أحمد باشا ، وسنان باشا والي الاناضول ، فاستردوا قلعة « مديللي » ، وبعد الهجوم الاول فر العدو هارباً بسفنه فاضطرت حكومة البنادقة الى طلب الصلح من العثمانيين وبعد تقرير شروطه سنة (٩٠٩هـ ـ ١٥٠٣ م) عقدت بينهما معاهدة الصلح تحت شروط اعادة جزيرة « كفالونيا» للدولة وبقاء جزيرة « سنت ماور » مستقلة ، والترخيص للبنادقة بالسير في البحر الاسود وأن يكون لهم قناصل في الآستانة ، وهكذا اكتسبت البحرية العثمانية في زمن السلطان بايزيد الثاني شهرة عظيمة حتى أوقعت الرعب والخوف في قلوب الدول البحرية الاوروبية بالبحر الأبيض المتوسط » (٨٧) .

أما السلطان بايزيد الثاني (الولي) فقد قضى حياته مجاهداً حتى وافته المنية سنة ٩١٨هـ / ١٥١٢ م بعدما دامت سلطنته اكثر من ٣٠ سنة ، حافظ خلالها على سياسة والده العسكرية والبحرية ، وجعل البحرية ضعف ما كانت عليه في السابق وزود الانكشارية بالبنادق ، (٨٨) ودفن قرب جامعه في مدينة اسطنبول .

السلطان سليم الأول (٩١٨ ـ ٩٢٦هـ / ١٥١٢ – ١٥٢٠)

تولى السلطنة السلطان سليم الأول فاهتم بتطوير القوات البرية والبحرية ، وفي زمانه دخلت المدافع المحلزنة الخدمة في الجيش العثماني ، وأمر « القبودان جعفر بك ـ أحد قواد البحر ـ بتوسيع دار الصناعة (الترسخانة) التي بساحل قاسم باشا ، وأمر بانشاء عدة سفن

ضخمة بين حربية ونقلية حتى جعل قوة الدولة البحرية معادلة لقوة البنادقة واسبانيا معاً . وهكذا أصبح الاسطول العثماني في زمن السلطان سليم الأول سيد البحر الأبيض المتوسط من الاسكندرية إلى سواحل الشام إلى اسطنبول التي عدت حاضرة دولة اسلامية واحدة – بعد انتقال مركز الخلافة إليها من القاهرة – وبينما كان السلطان سليم يعد العدة لمحاربة الفرس – الذين إخذوا يتآمرون مع القوى المسيحية الاوروبية ضد الدولة العثمانية السنيّة – ويجهز اسطولاً بحرياً لمعاودة الكرة على جزيرة رودس . عاجلته المنية في ٩ شوال سنة ٩٢٦ هـ / ٢٢ / ٩ / ١٥٢٠ م (٨٩) .

بويع السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ ـ ٩٧٤ هـ / ١٥٢٠ – ١٥٦٦ م) الذي اهتم بتقوية أساطيل البحر الأسود ، والبحر الأبيض المتوسط بعد أن أقلقته أخبار قراصنة جزيرة رودس الذين واصلوا الاعتداءات على السفن العثمانية التجارية العاملة ما بين مصر واسطنبول ، كما اعتدوا على سفن الحجاج ، وقد حدث في سنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢ م أن اغتصبوا بعض سفن المسلمين وأسروا ركابها ، وقتلوا بعضهم ، فتكدر السلطان سليمان ، وقرر فتح جزيرة رودس ، وأمر بتجهيز الأسطول العثماني الذي كان مكوناً من ٣٠٠، سفينة حربية ، و ٤٠٠ سفينة نقلية تحت قيادة (القبودان) بيلان مصطفى باشا ، وبها ١٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة الوزير الثاني (داماد)(٩٠) مصطفى باشا . ثم خرج السلطان بجيش بري عظيم براً قاصداً (فُرضة مرمريس) الواقعة بساحل الأناضول تجاه جزيزة رودس للإمداد والوقوف على حركات التجريدة ، وفي اليوم الرابع من شهر شعبان (٩٢٨هـ / ١٥٢٢) وصلت الأساطيل إلى الجزيرة المذكورة أمام المكان المسمى ـ الآن ـ جم باغچه ، فرست في فرضة (اوكوز بورونو) الواقعة غربي الجزيرة (. . .) ثم رست في فرضة (اوكوز بورونو) الواقعة غربي الجزيرة (. . .) ثم نَقَلَتِ السفنُ السلطان سليمان مع الجيش إلى الجزيرة ، وبعد أن شاهد حصونها شرع في ترتيب أمر الحصار بنفسه ، وأصدر الأوامر

بتشديد الحصار براً وبحراً ، ومداومة الهجوم ، واستعمال المدافع الجسيمة (٩١) ، واستمر الحصار سبعة شهور متوالية بقيادة السلطان نفسه ، وإزاء ذلك استسلمت رودس وحينما بدأت المفاوضات وصلت السفن الأوروبية لنجدة فرسان القديس يوحنا فنقضوا تعهداتهم ، وعادوا للمدافعة والمقاومة ، فأمر السلطان بتطوير الهجوم ، وزيادة كثافة النيران ، مما أجبر الفرسان على طلب الأمان ، وأتى رئيسهم «فلاري آدم» (٩٢) بنفسه إلى خيمة السلطان لعقد شروط التسليم (٩٣) ، واستولى السلطان على قلاع رودس في ٧ صفر سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢ م ، ورحل فرسان القديس يوحنا إلى مالطة ، ثم فتح الاسطول العثماني الجزر المجاورة لرودس بقيادة (قره محمود رئيس) وبعد استتباب الأمن عاد السلطان إلى اسطنبول.

كذلك أصدر السلطان أمراً لوالي الديار المصرية (**الخادم سليمان باشا**) «بتجهيز (دوننما) كافيه بدار صناعة السويس للمحافظة على سواحل البحر الأحمر من تسلط الأعداء ، وتأمين طريق الهند .» (٩٤) ، وكان أن نفذ الوالي المذكور الأمر، وأرسل السلطان لمساعدته من الآستانة سليمان رئيس (٩٥) سنة ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م ، وأصبح الأسطول العثماني سيد البحر الأحمر بالاضافة إلى البحر الأبيض المتوسط ، وبحر ايجه ، وبحر مرمرة ، والبحر الأسود ، وبعد تجهيز الأسطول العثماني ـ المصري ، أقلع سليمان باشا من السويس بعمارة مؤلفة من ثمانين سفينة تحت قيادة **سليمان رئيس** ؛ بها عشرين ألف جندي ، فوصلت إلى عدن سنة ٩٤٥هـ فاستولى عليها ، ثم أقلع منها قاصداً سواحل الهند فوصلها بعد أيام (. . .) ثم أخرج (سليمان باشا الخادم) الجيوش إلى البر بعد أن اتحد مع الملك محمود (المغولي) وأخذ يقاتل البرتغاليين حتى استولى منهم على قلعتي (كوله) و (كات) (٩٦) ، ثم عاد **الاسطول العثماني- المصري** بعد تواطؤ الملك محمود مع البرتغاليين ، وفي طريق العودة رتب أمور عمان واليمن ، وأصبحت تلك البلاد تحت سيطرة الخلافة العثمانية ، ولكن العمانيين اتفقوا مع البرتغال ضد الحاكم العثماني - بعد رحيل

الأسطول إلى مصر – فأرسلت الخلافة العثمانية ، في سنة ٩٥٩هـ / ١٥٥١ م (عمارة) أخرى من البحر الأحمر تحت قيادة المدعو **بيري رئيس**(٩٧) ؛ مؤلفة من ثلاثين سفينة بين أغربة وشواني وغلايين ، وقد تمكن هذا (القبودان) من استرداد عدن ، والاستيلاء بعد ذلك على مسقط وجزيرة هرمز ودراخت – الواقعتين عند مدخل الخليج العربي – ليجعلهما نقطتين يُلتجأ إليهما عند الحاجة ، ثم أقلع يريد البصرة ، فبلَّغ أن أسطول البرتغال آت لمحاربته (...) فعاد إلى مصر بغرابين ، فعين السلطانُ مرادَ بك (قبودانا) على اسطول مصر فقصد البصرة (...) وانتصر البرتغاليون فاضطر مراد بك إلى الرجوع إلى مدينة البصرة ، ثم عين السلطان سيدي علي رئيس قائداً للأساطيل المصرية سنة ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢ م (...) فانتصر على البرتغاليين نصراً مبنياً وأغرق من سفنهم عدداً كثيراً ـ في جهات هرمز ـ (٩٨) ، ولكن العواصف دمرت أسطوله وقذفته إلى سواحل الهند ، وبعد ذلك صارت الأساطيل العثمانية ـ المصرية تتردد على بحار الهند وتنازل البرتغاليين حتى أضعفت سلطتهم (٩٩) ،، وأبعد خطر الاحتلال الأوربى عن سواحل شبه الجزيرة العربية.

وفى تلك المرحلة ظهر على مسرح غرب حوض البحر الأبيض المتوسط آل بربروس(١٠٠) الذين أدى تحالفهم مع العثمانين إلى تحويل ذلك إلى بحيرة اسلامية عثمانية ، ويعود أصل يعقوب والد خير الدين بربروس وأخوته ، إلى صحراء آجه بالأناضول، ويقال ان والدهم كان من عساكر (السباهي) ، ثم انتقل إلى جزيرة مديللي بعد فتحها صحبة الجيش المحافظ وأتخذها موطناً له ، ورزق هنالك اربعة أولاد هم : اسحق ، وأوروج ، وخضر، والياس ، ولما وصلوا إلى سن الرشد اشتغل اسحق بالتجارة ، واشتغل الثلاثة الباقون بالاسفار البحرية زمن السلطان بايزيد على سواحل (مورة) و (سلانيك) وكان أوروج(١٠١) وأخوه الياس يترددان على مصر والشام ، فصادفا في بعض أسفارهما سفناً لقراصنة رودس ـ قبل فتحها ـ فحصل بينهما وبين هذه السفن محاربات دموية قتل فيها إلياس ، وأُسِر أوروج .

فلما بلَغَ الأمير قورقود بن السلطان بايزيد - حاكم القرمان - تلك الحادثة تدخل في الأمر حتى تمكن من إطلاق سراح أوروج الذي صمم على الأخذ بالثأر من أعدائه ، فأمده الأمير قورقود بسفينة ذات ستة وثلاثين مجذافاً (. . .) ثم تقابل مع أخيه خضر بالقرب من جزيرة جربة ، واتفقا مع الأمير محمد الحفصي سلطان تونس على أن يتنازل لهما عن قلعة حلق الوادي ليجعلاها مركزاً لهما ،(١٠٢) ، وعندما امتدت سيطرة آل بربروس على شمال أفريقية اتحد الاسبان مع التلمسانيين ضدهم ، فتمكنوا من قتل الآخوين اسحق وأوروج ، فى حين بقي أخوهما خضر الذي أخذ على عاتقه الأخذ بالثأر من الأعداء ، فأجلى الاسبان عن الجزائر ، ثم راح يهاجم الشواطئ الاسبانية بدعم من الخلافة العثمانية حتى تمكن من «نقل ٧٠٠٠٠ من مسلمي الأندلس ، وبذلك انقذهم من الأذى الذي لحقهم من الأسبان ، وكان «باربا روس » قد قص تفاصيل وقائعه البحرية على السلطان سليمان القانوني (١٠٣) ، فعهد إليه السلطان في سنة ٩٣٩هـ / ١٥٣٣ م بصد هجمات «أندريه دورية قائد الأسطول الصليبي» ، فقضى خير الدين فصل الشتاء في أسطنبول للإشراف على إعداد أسطول لفتح تونس التي فتحها سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٥م ، بعد ما خرج من اسطنبول سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٤ م وعرج في طريقه على مالطة وجنوب ايطاليا ، وبعد فتح تونس وتحريرها من الاسبان بدأت حرب بحرية ضروس بين القوى المسيحية و «باربا روس» ، ثم استعان ملك فرنسا بالسلطان سليمان ضد عدوه شارلكان ، فأرسل له اسطولاً عثمانياً بقيادة خير الدين باربا روس الذي أقلع من اسطنبول سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م فغزا في طريقه سواحل جزيرة صقلية ، ووصل ميناء مرسليا ، وأقلع منها مع اسطول فرنسي ، إلى مدينة نيس فحاصروها من جهة البحر وفتحوها عنوة في ٢١ جمادى الأولى سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣م (١٠٤) ، ثم قضى خير الدين فصل الشتاء في ميناء طولون ، وعندما اتفق فرانسوا الأول مع شارلكان (شارل الخامس) وتصالحا عاد خير الدين إلى القسطنطينية ، وبالإضافة إلى تحرير شمال أفريقا ، فقد خاض

خير الدين معارك بحرية كثيرة أهمها : معركة جلوة سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٤م ، ومعركة «ألونية ، على شواطئ ألبانيا سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٨م وما تبعها من معارك الأرخبيل اليوناني ، ومعركة جزائر اشكتوز(واشكبولوز) وغير ذلك سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م ؛ ومعركة جزيرة كريت . ومعركة كورفز(١٠٥) البحرية الشهيرة سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م حيث انتصر على (اندريه دورية) قائد الأرمادا الصليبية التي شاركت فيها ، ٥٢ سفينة للامبراطور شارلكان ، و ٧٠ سفينة للبنادقة ، وكانت تحت قيادة الأميرال (كابلو) و ٣٠ سفينة لبابا روما ، و١٠٦ سفينة لقراصنة مالطة و ٨٠ سفينة لأسبانيا ، وبعض سفن أخرى للحكومات الأخرى البحرية ...(١٠٦) ، وبعد ذلك الانتصار منح السلطان لخير الدين لقب (غازي) : مجاهد . وأصبح خير الدين قائداً عاماً للبحرية العثمانية فحقّق انتصارات عظمى حتى وافته المنية سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م(١٠٧) ، فدفن في اسطنبول في منطقة (بشكطاش) وفيما بعد أقيم قرب قبره المتحف البحري ، وتوجد حول قبته حديقة فيها العديد من المدافع القديمة ويتوسط الحديقة نصب تذكاري لأمير البحر خير الدين .

وبعد وفاة خير الدين استنجد ملك فرنسا فرنسيس الأول (فرانسوا) بالسلطان سليمان القانوني ثانية ضد عدوه شارلكان امبراطور ألمانيا وملك إسبانيا ، فأنجده السلطان باسطول عثماني قاده (طورغود بك)(١٠٨) المعروف عند الأوربيين باسم ، Dragut ، سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣ م ، فاتحد مع (القبودان) پولان رئيس اساطيل فرنسا ، ثم **خلّص طورغود نحو سبعة آلاف أسير من المسلمين** الذين كانوا لدى الاسبان في قلعة بشتيا ، Bestia ، من أعمال قورسقة ، وغير ذلك (١٠٩)، ثم عاد إلى اسطنبول بعد اختلافه مع قائد الاسطول الفرنسي ، وبعد عودة العثمانيين هُزِم الفرنسيون فاستعانوا مرة ثالثة بالسلطان سليمان ، فأرسل اسطولا بقيادة پياله باشا سنة ٩٦١هـ / ١٥٥٤ م وطورغود بك ، وبعد تحقيق بعض الانتصارات. اختلف العثمانيون والفرنسيون فعاد الاسطول العثماني إلى

اسطنبول ، وفي سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٨ م بدأت الاستعدادات العثمانية التي سبقت **معركة جربة**(١١٠) الشهيرة ، التي وقعت في ١٨ شعبان سنة ٩٦٧هـ / ١٥٦٠م وفيها انتصر الأسطول العثماني بقيادة بيالة باشا على الاسطول الصليبي المكون من ٢٠٠ سفينة بقيادة (أندريه دورية) الذي فرّ من الميدان تاركا أمراء أوروبا للوقوع أسرى بأيدى العثمانين، وهكذا حُررت **جربة وصفاقص وطرابلس الغرب** ، وأخذ بياله باشا الأسرى وعاد إلى اسطنبول في ٢ محرم سنة ٩٦٨هـ / ١٥٦٠م وبعد ذلك لم تحرز البحرية العثمانية انتصارات هامة أيام السلطان سليمان القانوني الذي وافاه الأجل في ٢٠ صفر سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٦/٩/٥م حينما كان يجاهد أمام قلعة سكدوار المجرية .

استخلف **السلطان سليم الثاني (٩٧٤ ـ ٩٨٢ هـ / ١٥٦٦ – ١٥٧٤ م)** بعد موت أبيه– وهو ابن روكسلان(١١١) الروسية– ووصل إلى القسطنطينية في ٩ ربيع الأول سنة ٩٧٤هـ /١٥٦٦/١٢/٢٤م(١١٢)،.

يعتبر السطان سليم الثاني شخصية مثيرة للجدل ، حيث أثنى عليه بعض المؤرخين ، وذمه البعض الآخر ، ولعل حقد بعض الحاقدين على أمه الروسية روكسلان دفعهم إلى الحطّ من قدره أكثر من اللازم ، حتى ذهب محمد فريد بك المحامي إلى القول : « ولم يكن السلطان متصفاً بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلاً عن إضافة شيء إليها ، ولولا وجود الوزير الطويل محمد باشا صوقللى المدرب على الأعمال الحربية السياسية للّحقَ الدولة الفشل . . .(١١٣) ، أما الكاتب الكردي السوري محمد كرد علي فقد خصص للسلطان سليم الثاني صفحة ونصف الصفحة تحت عنوان : « مهلك السلطان سليمان وتولي سليم السِّكير(١١٤) ، ومما جاء في نص محمد كرد علي : « خلف السلطان سليمان ابنه سليم الثاني وهذا لم يذكر اسمه في الشام إلا على منابرها فقط لأنه كان شريباً خميراً حتى لقب بسليم السكير ، وله من أعمال الخلاعة ما يخجل منه (...) وفي أيام سليم الثاني فتحت قبرس ،

وكانت للبنادقة ، وهلك وأسر من أهلها نحو ثلاثمائة ألف إنسان في بعض الروايات . هلك سليم الثاني سنة ٩٨٢ هـ بعد أن حكم ثماني سنين ، وستة أشهر (. . .) ولكن الشام لم تر طلعة هذا الملك ، كما أنها لم تشهد من والده من قبل شيئاً من خطط الإصلاح ، ولا من القوانين النافعة ، ولاشاهدتهم أو وكلاءهم يشرفون على الشام ليرفعوا الضيم عن أهله (. . .) قتل من الموارنة - في تلك المعمعة - نحو ثلاثين ألفاً (كذا) عدا الذين قتلوا في ليماسول في جزيرة قُبرص حين حاصرها الأتراك وفتحت سنة ٩٧٨هـ [١١٥] »/ ١٥٦٤م

ولم يكن ما قاله محمد كرد علي أقل ضِعةً من قول ول ديورانت : « وهكذا كان سليم الثاني الذي خلف سليمان القانوني ١٥٦٦ ، حاكماً منحلاً خاملاً ، لم تتجل عبقريته إلا في أنه عهد بالإدارة والسياسة إلى وزيره القدير محمد صوقللى . . . [١١٦] » .

لاشك أن الحاكم الخامل الرعديد لايحقق انجازات مهمة ، فى حين أن منجزات السلطان سليم الثاني تدحض ما ذهب إليه أعداؤه ، ففي مجال البناء أمر ببناء مجمع وجامع السليمية في أدرنة ، وقُبَّة ذلك الجامع هي أكبر قبة عثمانية على وجه البسيطة ، وتعداد منجزاته العمرانية يتطلب دراسة خاصة ، وقد كان السلطان سليم الثاني حاكما رقيقياً وحساساً ومتواضعاً صان الدولة ووسع الفتوحات ونظم الشعر الرائع ومن أقواله : ما معناه :

أنــا كالبلبــل أشكو حرَّ نيران الفراقِ

لو عبَرَتْ ريح الصبا يوم على أوراقي

لتزودت مــن وردنا ناراً من الأشواق

والواقع ان ما أنجزه هذا السلطان من جلائل الأعمال العسكرية البرية والبحرية تنم عن حسن درايته ونجاح سياسته ففي « أوائل جلوسه على العرش عصته **عرب البصرة** وخرجوا تحت قيادة أحد مشايخهم المدعو **ابن عليان**، فجهز عليهم العساكر الكافية وأرسلها تحت قيادة اسكندر باشا (بكلر بك ديار بكر) **وخرج لحربهم أيضا جانبولاد بك بعساكر حلب**

وأورقا بحراً في خمسمائة وخمسين سفينة في نهر الفرات وبعد وقائع عديدة تمكن العثمانيون من اخضاع تلك القبائل وأذعن ابن عليان المذكور لدفع فريضة سنوية إلى خزانة البصرة قدرها ١٥٠٠٠ من الذهب (٩٧٥ هـ/ ١٥٦١م) وفي السنة التالية سارت الجيوش تحت قيادة سنان باشا والي مصر لاتمام فتح بلاد اليمن وقهر ثوارها وطرد المتغلبين[١١٧] من البرتغاليين عليها وبعد عدّة وقائع انتصروا على المتغلبين والمتمردين وأخرجوا البرتغاليين منها وملكوا صنعاء واعترف سلطانها الشريف مطهر بن شرف الدين يحيى بالحكومة العثمانية ثم عين سنان باشا عليها أحد القواد المسمى عثمان باشا واليا ثم عاد سنان باشا ظافرا .

ثم بعث السلطان اسطولين لتسكين الثورات التي قامت بجهات يانية وطرابلس الغرب وبعد اعادة السكينة إلى تلك الجهات عزل پياله باشا عن رئاسة البحرية وتولاها مؤذن زاده علي باشا المعروف بالشهيد، [١١٨]

وعندما طلب ملك آجة (Açe) علاء الدين رعايت شاه قهار (١٥٣٧ - ١٥٦٨ م) المساعدة من الدولة العثمانية للوقوف في وجه الأعداء البرتغاليين الذين تغلغلوا بأساطيلهم في سواحل أندونيسيا ، ومارسوا القرصنة على شواطئ سومطرة مهددين بذلك مملكة آجة (١٥١٤ - ١٩٠٣ م) فأرسل السلطان سليم الثاني قوة بحرية (عثمانية - مصرية) ابحرت من ميناء السويس [١١٩] سنة ١٩٧٢هـ/ ١٥٦٨ م وكانت مؤلفة من ٢٢ سفينة بقيادة خضر خير الدين رئيس (قورد أوغلى) ابن مصلح الدين رئيس - الذي قاد الأسطول العثماني في حصار ردوس أيام القانوني سنة ١٩٢٨هـ/ ١٥٢٢ م ، وسمى ابنه هذا باسم صديقه خير الدين بربروس - وحملت السفن - من السويس - معدات عسكرية ومقاتلين من سلاح البحرية ، وسلاح المدفعية وقدمتها لمملكة آجة الإسلامية ، فاعترفت مملكة آجة - التي كانت تحكم ماليزيا وشمالي جزيرة سومطرة - بالتبعية للخلافة العثمانية ، وبذلك امتدت

حدود نفوذ السلطنة العثمانية إلى جنوب شرق آسيا ، وقام الاسطول الآچي بفتح عدد كبير من الجزر ، ورافق ذلك انتشار الدين الاسلامي في تلك البلاد ، واندحر الغزو البرتغالي أمام التصدي العثماني - المصري - الأندونيسي - الماليزي .

وكان معاوية بن أبي سفيان - قد فتح جزيرة قبرص سنة ٢٧ هـ/ ٦٤٨م أيام الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنهما - وبقيت هذه الجزيرة قاعدة بحرية لمسلمين حتى احتلتها الامبراطورية البيزنطية، ثم احتلتها الحملة الصليبية الثالثة ، وأسست فيها مملكة كاثوليكية لاتينية تابعة للبندقية ، وفي سنة ٨٢٧ - ٨٢٩هـ/ ١٤٢٤- ١٤٢٦م فتحها الأسطول المملوكي وأُرسل الملك جانوس Janus، أسيراً إلى القاهرة ، وأصبحت قبرص تابعة للقاهرة ، وتدفع جزية سنوية لسلطان المماليك ، ثم أصبحت تابعة بدفع الجزية للخلافة العثمانية سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م بينما كانت الإدارة الداخلية تابعة للبنادقة ، وقد توقف التدخل المملوكي والعثماني في شؤون الجزيرة عند حدود دفع الجزية في حين أن الأمور الداخلية كانت تابعة للبندقية ، ولما حكم السلطان سليم الثاني رأي : أن وجود مستعمرة أوربية في شرق البحر الأبيض المتوسط يشكل خطراً فادحاً وتهديداً مباشراً للأمن البحري ، وقد عارض الصدر الأعظم صوقللي فتح قبرص خشية استثارة القوى الأوروبية مما يهدد السلطنة العثمانية ، ولكن أميرلات البحر ، وقادة البر أيدوا فكرة السلطان ، حيث أن هيمنة البنادقية على جزيرة قبرص كثيراً ما عرض مصالح الدولة العثمانية للخطر، ومن أمثلة ذلك ان سفن قبرص تعرضت للسفينة التي كانت تقل دفتر دار مصر فضلا عن تعديات قرصانها على السفن التجارية العثمانية عند سواحل مصر وسورية وفينقية وقد سبق اثناء ولاية هذا السلطان على كوتاهيه- وهو ولي للعهد و ان اغتصب القبارصة خيوله والاشياء التي كان ابتاعها لنفسه من مصر ولم يتمكن من استردادها منهم إلا بعد مشاق جمة فلما صعد على كرسي السلطنة، وحدث من سكان هذه الجزيرة ما حدث صمم على اخضاعها خصوصاً

وانها كانت تابعة للمسلمين من عهد خلفاء بني أمية، فجرد عليها الجنود **وأفتى بجواز ذلك شيخ الأسلام أبو السعود أفندي** وفي ١٥ ذي الحجة من سنة ٩٧٧ هـ / ١٥٧٠ م أقلعت الاساطيل العثمانية المؤلفة من ٣٦٠ سفينة تحت قيادة القبودان الاعظم مؤذن زاده علي باشا وكان بها عساكر الاناضول والروملي، وأكثر بكوات السناجق، ونحو ٥٠٠٠ من الانكشارية تحت قيادة السردار الوزير لالا مصطفى باشا وأمر السلطان وزيره الثالث پياله باشا بمحاصرة الجزيرة بالسفن الحربية المذكورة واستقرت آراء القادة على حصار قلعة نيقوسية (Niecosie) أولا بوصفها قاعدة الجزيرة وبعد حصارها أياما دخلوها عنوة وقتلوا كثيرا من سكانها، ولما شاهد أهل كترينه (Getrina) ذلك خافوا وسلموا بدون قتال ثم حاصروا قلعة (الماغوصة: فاما جوستا) (Famagoustie) وكانت من أمنع الحصون وأصعب المعاقل ولما اشتدّ الحال بالمحصورين أرسلوا يستنجدون ملوك أوربا فلما لم يغثهم أحد سلموا بالامان ودخل العثمانيون (الماغوصة) وغنموا منها غنائم كثيرة ورحل كثير من أهل الجزيرة عنها، ثم أن پياله باشا ترك قسما من العمارة للمحافظة على السفائن الثقيلة الراسية في الميناء السابق ذكرها وأقلع بالباقي إلى سواحل الشام لنقل العساكر الوافدة من حلب مدداً للعساكر العثمانية، وبعد تمام الفتح عاد پياله باشا بالغنائم إلى استانبول، لدخول فصل الشتاء، ولاصلاح بعض السفن وتجهيزها، وبصحبته القبودان علي باشا، وترك بالجزيرة أربعين سفينة تحت قيادة عرب أحمد بك (بك رودس) وبقي بالجزيرة أيضا السردار مصطفي باشا لفتح مابقي من قلاعها، وفي خلال محاصرة باقي المدن خرج (براغاديتو) البندقي صاحب قبرس بملابسه الارجوانية، وأتى إلى المعسكر وقابل السردار وتطاول عليه بألفاظ خشنة، ولما كان قد أمر بقتل أسرى العثمانين فإن السردار أمر باخراج من بالسفن من أسرى الافرنج وقتلهم بحضوره، ثم أمر به فقتل هو أيضا [١٢٠].

وهكذا استعاد السلطان سليم الثاني جزيرة قبرص من الأوربيين ، وبذلك حقق مالم

يحققه مَنْ سبقه من سلاطين آل عثمان، مما أعاد سيرة خلفاء بني أمية العظام في البر والبحر.

ومن ناحية أخرى فان روسيا احتلت إمارة إسترخان، Astirhan، المسلمة سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م - أيام السلطان سليمان القانوني - ثم سيطر الروس على ضفاف نهر الفولغا، واحتلوا إمارة قازان [١٢١]، وبذلك وسع قيصر روسيا إيفان الرهيب [١٢٢] (١٥٣٠ - ١٥٨٤م) حدود الامبراطورية الروسية بعد اعتلائه العرش الروسي سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م على حساب جيرانه المسلمين، ولكن السلطان سليم الثاني ماكاد يعتلي العرش ويفرغ من معالجة القضايا المستعجلة حتى أمر باسترداد إمارة قازان من الروس، فتحرك الاسطول العثماني من موانئ اسطنبول في ١٥٦٩/٨/٤م، ميمماً شطر بحر آزاق (آزوف) عبر البحر الأسود، ووصل إلى مصب نهر الدون، ومن هناك اتجهت القوات العثمانية وقوات خان القرم، دولت كيراي، ووصلت القوات إلى استرخان في ١٥٦٩/٩/١٢م، وعندما عجزت عن استرداد قلعة المدينة من الروس، تراجعت بسبب الشقاق بين قوات القرم، والقوات العثمانية، ولكن إيفان الرهيب واصل بطشه بالمسلمين الذين وقعوا تحت سيطرته، فتعالت صرخات الاستغاثة، وعندئذ سار خان القرم دولت كيراي في ربيع ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م بجيش مكون من ١٢٠٠٠٠ خيال أكثرهم من القرم، وبعضهم جنود عثمانيون، واصطحب معه سرية مدفعية عثمانية (. . . .) فشتت الجيش الروسي وأنزل به خسائر فادحة، ولم يتمكن إيفان الرهيب من الدفاع عن موسكو، فدخل العثمانيون موسكو وأحرقوا المدينة، وعاد دولت خان إلى القرم، ومعه ١٥٠٠٠٠ أسير (. . .) وقد شاهد العثمانيون الذين دخلوا موسكو في ١٥٧١/٤/٢٤م فرار معظم الأهالي، فأسروا البقية، وفي سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م سار دولت خان كيراي بحملة ثانية، فاجتاز نهر أوقا، Oka، ودفعت روسيا جزية سنوية مقدرها ٦٠٠٠٠ ليرة ذهبية، وعقدت صلحاً مع القرم [١٢٣]، وأثناء المعارك فر أيفان

الرهيب من موسكو ، وأرسل سفراءه إلى أسطنبول لكي توقف الاجتياح ، ولكن السلطان سليم لم يلتفت إليهم بل بارك الهجوم ، وأثنى على خان القرم قائد المعركة ، وقلده سيفاً مرصعاً . لانه حرر المسلمين من الحكم الروسي الرهيب .

وقبل تلك الاثناء كان أبو عبد الله الصغير قد رحل من الأندلس سنة ١٤٩٢ م ، آنذاك نفذ الكاثوليك مجازراً وحشية راح ضحيتها ألوف المسلمين ، واستمرت المذابح حتى، وصلت صرخات المستغيثين إلي أسماع آل عثمان ، ولكن هناك عدة اعتبارات حالت دون تقديم النجدة المرجوة لمسلمي الاندلس ، منها: بعد المكان ، ومنها العدو الفارسي الذي لم يترك لآل عثمان فرصة للقضاء على مجرمي اسبانيا ، وكذلك نشاط عملاء البرتغال في عمان واليمن، والاختلاف مع المماليك على الحدود الشامية الشمالية ، وربما جاء الخطر الكبير الذي هدد الدولة العثمانية في ذلك الدور من جانب اولئك الخونة الذين تآمروا في شمال إفريقية وتحالفوا مع الاسبان ضد آل عثمان ، وأمير البحر خير الدين بربروس ، فضلا عن العدو الروسي الرومي الأرثوذكسي المتربص في الشمال .

وهكذا استمرت الاعتداءات الاسبانية على المسلمين في اسبانيا وامتدت بحرا آلى شمال إفريقية ، ولكن السلطان سليم كان قد أضعف نفوذ الصليبيين في شرق البحر الأبيض المتوسط بعدما فتح جزيرة قبرص فأرعب فتحها عموم أوربا ، وقرع بابا روما بيوس الخامس نواقيس الخطر ، وأرسل إلى ملك اسبانيا فيليب بن شارلكان رسالة في ١٥٧٠/٣/٨ م جاء فيها : « لاتوجد دولة مسيحية في العالم تستطيع الوقوف وحدها بوجه الدولة العثمانية . وبناء على ذلك يجب على كافة الدول المسيحية أن تتحد لتكسر الغرور التركي[١٢٤]، واثمرت جهود البابا عقد اتفاقية عسكرية صليبية بين روما ، ودوق البندقية ، وملك اسبانيا ، والإمارات الصليبية الخاضعة لسيطرتهم مثل فلورنسة ، وبارما ، ولوكا ، وفرانا ، وأوربينو ، وجنوة ووقعت الاتفاقية[١٢٥] في (١٥٧١/٥/٢٥ م) ونصّت على اسناد قيادة الاسطول

الصليبي الموحد (أرمادا) «Armada» للقرصان (القائد العام) دون جوان[١٢٦] «Don Joan» ، ويدأ تجميع القوات للايقاع بالعثمانين والمسلمين.

معركة لابنتو

«لما دخل فصل الربيع من سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠م خرجت العمارة العثمانية من خليج استانبول وكانت تتألف من ٢٥٠ [١٢٧] سفينة حربية تحت قيادة القبودان علي باشا، وبها السردار الثاني پرتو باشا حاملة مأكولات وذخائر حربية لعساكر قبرص وبعد أن أخرجتها عادت إلى ميناء مرمريس المقابلة لجزيرة رودس، لمراقبة مراكب العدّو التي أشيع أنها ستحضر للجهات المذكورة، ولما تم افتتاح جزيرة قبرص سافرت الاساطيل إلى كريت والتحق بها أثناء سفرها أسطول باي الجزائر اولوچ علي باشا، وكان مؤلفا من عشرين سفينة حربية، ثم ذهب الجميع إلى سواحل البانيا، ثم هاجمت العمارة جزيرتي كورفو، وكفالونيا (Cephalonle) وكانتا للبنادقة وأخربتهما واستولت على مدينتي (أولكون) (Duleigno) وبار (Antivari) وبعد أن أقامت العمارة بتلك الجهات زمنا لتوطيد الامن، وتقوية دعائم السكينة، ولم تصادف للأعداء سفناً عادت فدخلت (جون اينه بختى) وبحلول زمن الشتاء تفرق بعض ملاحي السفن وكثير من الانكشارية التي بها، فحدث من ذلك نقص في عساكر وطوائف السفائن.

وكانت أساطيل الدول المتحدة في ذلك الوقت - الآتية لمساعدة البنادقة - مجتمعة بميناء مسيلي، وكانت مؤلفة من أساطيل اسبانيا وعددها ٧٠ تحت قيادة (الاميرال دون جوان) وأساطيل البابا تحت قيادة (الاميرال مارك انطوان) مركبة من ١٢ سفينة، وأسطول صقلية تحت قيادة (الاميرال جاندوكوردو) مركب من ثماني سفائن، وعمارة البنادقة تحت قيادة الاميرال ونيبرو مركبة من ١٠٨ سفائن، وأسطول فرنسا مركب من ثلاث سفائن،

فيكون عدد الجميع ٢٣٠ سفينة وكانت القيادة العامة لاكبر الأميرالات وهو (دون جوان) أميرال اسبانيا المتقدّم وكان اسطول البنادقة يضم ست سفن من نوع الغليون ومدافعها كبيرة بالنسبة لحجمها، وذات عيار كبير، وأما سفن الاسبان فهي وإن كانت ضخمة قوية جيدة الآلات والأسلحة إلا أنه لم يكن معها ماعونات كالبنادقة(١٢٨) .

وفي ٧ (١٢٩) جمادي الاولي من سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧١م ظهرت عمارة العدّو أمام خليج (اينه بختى) وعندئذ عقد القبودان الاكبر مؤذن زاده علي باشا مجلسا مؤلفا من كل من پرتو باشا سردار(١٣٠) وباي الجزائر أولوج علي باشا، وباي طرابلس الغرب جعفر باشا، وخير الدين باشا زاده حسن باشا ، ومن نحو خمسة عشر من بكوات صناجق السواحل ، وبعد أن تداولوا اتفق الجميع على وجوب المدافعة والمحاربة وهم داخل الخليج لتساعدهم القلاع بنيرانها للنقص الموجود بين عساكر السفن، ولقلة الأدوات اللازمة لها ، فلم يقبل القبودان منهم ذلك الرأي بل خالفهم فيه مخالفة كلية ليظهر جسارته، مع أنه لم يسبق له رئاسة وقائع بحرية مهمة ، ولما كان هو صاحب الرئاسة العمومية التزم أعضاء المجلس موافقته ظاهراً ، ثم تقدم إليه أولوج علي باشا وكان أرسخ منه قدما في الفنون الحربية البحرية ، وقال له : اننا اذا خرجنا بالعمارة لمحاربة الأعداء يلزمنا أن نقابلهم على بعد من البر لتتمكن السفائن من إجراء حركتها بالسهولة ، وهو رأي صائب خصوصاً لسفن الشراع التي يلزمها ميدان واسع للدوران، فلم يقبل القبودان منه هذا الرأي أيضا . وفي اليوم العاشر من الشهر المذكور أصدر القبودان(١٣١) باشا أوامره لعموم أساطيل العمارة فخرجت قبل الزوال من داخل الخليج المذكور ، وكانت عمارة الدول المتحدة راسية بجوار جزيرة كارزولاري الكائنة في مدخل ، جون پاتراس ، الواقع شمالي بلاد مورة وبعد أن عبأ العثمانيون أساطيلهم على الشكل الحربي المعلوم اذذاك ، واصطفت أيضا أساطيل الحلفاء ، وأخذ كل من الفرقين في تشجيع جنوده وقوّاده ,فتقدمت العمارتان نحو بعضهما ، ولما تقاربتا خرج من وسط العمارة المتحدة

من جانبي سفينة الاميرال جوان[١٣٢] السفينتان الراكب فيهما [١٣٣] ، ونپيرو، وكولونه[١٣٤] ، وكانا رئيسين لفرقة العمارة، وعرضا أنفسهما على امراء العمارة العثمانية ، فقابلتهم العمارة العثمانية بالمثل، وخرج كل من سفينتي برتو باشا والقبودان علي باشا ، من وسط العمارة العثمانية ليظهرا للعدّو مكانهما ، وكانت هذه الحركة غير صائبة لأن (دون چوان) لما رأي جسارة (قومندان) العمارة العثمانية اتخذ مناورة أخرى للاحتراس من حركتها ، وكان القبودان العثماني غافلاً عن هذه المناورة لان (دون چوان) قدّم السِتّ ماعونات التي كانت في قلب عمارته ، وهي بمثابة قلاع عوامة إلى المقدمة ، وأخّر باقي سفائن الفرق خلف الست ماعونات التي ذكرت ، فأبتدأ القبودان باشا بالحملة عليها ، ولما كان أولوج علي باشا مشاهداً حركة العدّو منادى على القبودان باشا بترك المواعين ، وأن يأمر بالحملة على سفائن الجناحين ، ولكن القبودان لم يقبل منه ذلك قائلا لا أقبل على نفسي أن يقال : أن العمارة العثمانية هربت من أمام سفن الأعداء ، فكان هذا الخطأ سببا في ضياع كثير من السفن العثمانية لان المواعين المذكورة قامت بخدمة عظيمة لعمارة العدّو ، فكانت كمترايس لها أمام سفن العثمانيين ، ومع ذلك فان السفن العثمانية لم تتراجع لشدّة النيران بل تمكنت من مضايقة العدوّ من الجناحين ، وحملت على خط حربه ، وتغلبت إلى أن دخلت وسط سفنه ، ثم حملت سفينة قبودان باشا على سفينة (دون چوان) المذكور ، فحضرت سفائن الأمراء لمساعدة (قائدهم) ، فتقدمت سفينتان من فرقة القبودان باشا ، وحملتا على سفائن العدو التي تقدمت ، وكان لهذه السفن في القتال منظر يهول مَنْ يراه ، وقد امتدت الحرب ساعتين أصيب في خلالهما علي باشا القبودان عندما كان يبحث عن (دون چوان) وفي الأثناء تقدم (المركيز زانطه كروس) [١٣٥] بفرقته الاحتياطية واستولي على سفينة قبودان باشا، وكان مطروحاً على ظهرها فقطع رأسه من جسده وعلقها على السران (الخشبة الموضوعة عرضا بالسارية) ولما رأت السفن العثمانية القريبة رأس قبودانها حصل عندها اضطراب

شديد تسبب منه انهزام الجناح الأيمن ، أما الجناح الآخر؛ فكان فيه أولوج علي باشا منصوراً بفرقته على فرقة « جان اندريا »،(١٣٦) وكان تمكن من تشتيت مراكبه واستولى على ١٥ سفينة من سفن البنادقة ومالطة ، وقطع بنفسة رأس « جاندو كوردو »،(١٣٧) أميرال مسيني ومزق شمل الفرقة التي كانت معه أيضاً ، أما فرقة البنادقة التي كانت أمام الجناح الأيمن للعثمانيين تحت رئاسة الاميرال « باريا ريغو »،(١٣٨) فانها خسرت خسائر جسيمة، ومات فيها الاميرال « باريا ريغو » المذكور وخسرت مراكب العثمانيين التي كانت في قلب الفرقة في الجناح الأيمن خسائر بليغة أيضاً .

ولما شاهد أولوج علي باشا قومندان الجناح الآخر قَتْلَ القبودان باشا ، وأن الدونانما العثمانية قد لحقتها الخسائر أخذ الاربعين سفينة التي كانت بمعيته ، وسحب السفن التي استولى عليها من سفن العدو ، وخرج بها إلى وسط البحر بعدما كسر خط حرب الفرقة التي كانت تحاول منعه عن الخروج ، أما باقي السفن التي خلصت من الجناح الأيمن ، ومن فرقة الوسط ، فاقتربت من الساحل وهناك غرزها قوّداها في الرمال حتى لايتمكن العدّو من الاستيلاء عليها ، وقد ضاع للعثمانيين في هذه الموقعة مائتا سفينة حربية منها ٩٢ غرقت ، والباقي غنمه العدّو ، وتقاسمته الاساطيل المتحالفة ، وقتل بهذه الواقعة من الجنود العثمانية نحو ٢٠٠٠٠ بين جنود وقوّاد ، وقد ذكر تفصيلات هذه الواقعة المهمة المؤرخون الاوربيون فقالوا : ان تلفيات العدو كانت ١٥ غليون و ٨٠٠٠ جندي بما فيهم كثير من الأمراء ، (والاميرات) وقد ذكر المؤرخ دون كويكزون الاسباني وكان بعمارة الدول المتحالفة في هذه الواقعة فقال : بعد ما عادت العمارات إلى موانئ الحكومات التابعة لها أخبرت أن العثمانيين لاتقوم لهم في البحار قائمة بعد ذلك. أما أولوج علي باشا فانه بعد أن خرج من وسط المعركة جمع ماتشتت من سفن العمارة ، واستصحب معه المراكب التي كانت معينة للمحافظة على الجزائر ، وسحب المراكب التي ضبطها من العدّو ، فكانت جميعها ٨٠ سفينة

بها كثير من الأسرس . ثم عاد بالجميع إلى الآستانة فكافأه السلطان على شجاعته برتبة قبودان باشا، ولقبه[١٣٩] قلنج علي باشا، ولما كان پياله باشا[١٤٠] لايزال على قيد الحياة ، في هذا الوقت أصدر السلطان أمره إليه، والى قلنج علي باشا بأن يجهزا العمارة ، ويسرعا في بناء السفن لتلافي ما حصل ، وقد تمكنا من تجهيز مائتي سفينة جسيمة ، وبناء نحو ثمان من نوع (الغالي) ثم سلحاها بالمدافع الضخمة حتى صيراها من أقوى السفن التي كانت للدول المتحدة في واقعة لبانتو المذكورة.

وقد ذكر المؤرخون هذه الاستعدادات، فقال المؤرخ كريسي (Cressy) في حوادثه عن واقعة لبانتو: إن الدول الأوربأوية التي اتحدت في الواقعة المذكورة ارتاح بالها بعد هزيمة العثمانيين ، واشتغلت في زمن الشتاء ببناء الكنائس شكراً على انتصارها في لبانتو ، أما العثمانيون فقد عادوا مهتمين في فصل الشتاء ببناء وتشييد السفن الجسيمة في دور صناعاتهم (اهـ) وفي الواقع أن الدولة العثمانية لم يسبق لها أن اصيبت بخسائر بحرية في الوقائع السابقة كالتي حصلت لعمارتها في واقعة لبانتو هذه ، فلذلك حصل منها الإهتمام الذي لا مثيل له في بناء سفن العمارة في فصل الشتاء، وصرفت عليها أموالا باهظة حتى أنجزتها في زمن وجيز لانه لما كات الآستانة غير مستعدة لبناء عدد كثير من السفن في زمن قليل، فانها التزمت بتوسيع دار صناعتها المذكورة ، فأخذت كثيراً من المساكن الموجودة بخاص باغچة[١٤١] بالاثمان، واضافتها إليها حتى صيرتها واسعة بقدر الكفاية ووضعت عليها القزاقات – أي : المزالق – التي تُبنى عليها السفن ، وعملت جملة مخازن ، وبذلك تيسر لها في سنة ٩٨٠ هـ (١٥٧٢) أخراج عمارة مشكلة من ٢٥٠ سفينة حربية تحت قيادة قلنج علي باشا [١٤٢]

ومهما يكن من أمر فإن الدولة العثمانية استطاعت أن تزيل آثار هزيمة لابنتو بإعادة بناء الاسطول العثمانية أما أوروبا فقد شهدت أفراح النصر ، وكاد البابا بيوس الخامس منظم

النصر أن يرفع (دون جوان) إلى مرتبة القديسين ، وأطلق عليه عبارة الانجيل (**هناك رجل أرسل من عند الله أسمه يوحنا**) (انجيل يوحنا ٦/١) ورجا البابا من المنتصرين أن يحشدوا أسطولاً آخر ، وتوسل إلى حكام أوربا أن ينتهزوا هذه الفرصة ليتحدوا في حرب صليبية لطرد العثمانيين من أوروبا ، ومن الأرض المقدسة ، وأهاب **بشاه إيران** ، وبأمير اليمن السعيد أن ينضمَا إلى المسيحيين للإنقضاض على العثمانيين ، ولكن فرنسا الحاقدة على أسبانيا اقترحت على السلطان - عقب ليبنتو مباشرة - تحالفاً مباشراً ضد فيلب الثاني[١٤٣]، وفي سنة ١٥٧٢م مات البابا بيوس الخامس- الذى كان قد تكرس سنة ١٥٦٦م - وبموته ضعف المد والحقد الصليبي.

راح الأسطول العثماني الجديد يجوب شواطئ وانحاء البحر الأبيض المتوسط ، ووصل إلى مياه ، ناڤارين ، في مورة ، فهربت قوات جمهورية البندقية ، وأمر قليج علي باشا قادة الأسطول العثماني بالإرساء فى تلك المنطقة لاجراء التدريبات اللازمة لعناصر الأسطول ، إلا أن عمارة البنادقة عادت بعد فرارها، ومعها عمارة أسبانيا بقصد محاربة (الدوننما) العثمانية ، ولما رآهما قليج علي باشا اقترب بسفنه من الاستحكامات الموجودة بالجهة المذكورة واستعد للمدافعة بالسفن والاستحكامات معاً ، فلهذا لم تتجاسر عمارة العدو على الدنوّ منه ، فأقدم يدرب عساكره على التعليمات العسكرية البحرية ، ويتمم أستعداداتهم فيها حتى صيرهم على درجة كافية من المهارة ، ثم عاد في زمن الشتاء بالأساطيل إلى أسطنبول ، وعند عودته أمر السلطان جميع دور الصناعة بالاهتمام في تشييد وبناء السفن، فلم يمض زمن طويل حتى صارت الأساطيل العثمانية أقوى وأعظم مما كانت عليه قبلاً[١٤٤] ، وهكذا لم يتجاسر (دون جوان) على خوض المعركة مع الأسطول العثماني فرحل عن شواطئ اليونان، وبرحيله دب الرعب في قلوب نصارى أوروبا ، وارتفعت معنويات المسلمين .

، وفي سنة ٩٨١ هـ ١٥٧٣ م خرجت العمارة العثمانية الى بحر سفيد وكانت مشكلة من ٢٥٠ سفينة مختلفة و ١٢ ماعونة تحت قيادة قلنج علي باشا، وتعين الغازي پياله باشا سردارا عليها فهاجمت سواحل **إيطاليا** وغزت كثيراً من حصونها وقد دوى رنين هذا الخبر في آذان دول أوربا البحرية التي كانت مشتركة في واقعة لپانتو فلم تحرك ساكنا، ثم تقدمت الأساطيل العثمانية ودمرت جميع حصون سواحل بلاد البنادقة فالتزمت جمهوريتها لطلب الصلح، فأجيب طلبها، وعقدت بين الطرفين معاهدة(١٤٥) بذلك ونقدت في الحال مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ من الذهب للعمارة العثمانية بصفة غرامة حربية، وتعهدت بدفع جزية سنوية للسلطنة صار الاتفاق علي مقدارها، وبعد ان صادقت حكومة البنادقة على المعاهدة المذكورة عادت العمارة إلى الآستانة، وكان هذا الحرب آخر حرب كان به پياله باشا الشهير حيث توفي بعد قليل (٩٨٥هـ / ١٥٧٧م) ودفن في قبره الذي بناه لنفسه في جامعه بجهة قاسم باشا باستانبول ، (١٤٦).

و لم تتوقف المطامع الصليبية ببلاد المسلمين بعد ما مات البابا بيوس الخامس (١٥٦٦ - ١٥٧٢ م) بل استمرت المطامع الصليبية، ورفع راية العدوان **البابا غريغوريوس الثامن** الذي شجع أميرال البحر الصليبى (دون جوان) على شن العدوان ضد المسلمين في أي مكان، وتجلت نوايا البابا السيئة بوضوح ، وذلك بوعده لدون جوان بعرش **البلاد التونسية** إذا استطاع احتلالها . وقد حرك هذا الوعد أطماع الأميرال الحاقد (دون جوان) فحرك اسطوله في الذكرى الثانية لمعركة لابنتو فاصطحب معه مولاي محمد الحفصي (المدلل) البربرى – الحاكم الحفصى رقم : ٢٤ والأخير – من إيطاليا ، واقلعت السفن في ٧/١٠/١٥٧٣م ، وكان مجموعها ، ١٣٨ سفينة حربية إضافة إلى عدد كبير من الفرقاطات والزوارق التي تقلُّ على ظهرها سبعة وعشرين ألفاً وخمسمائة رجل باتجاه شواطئ افريقيا (...) وقبيل مساء الثامن من تشرين الأول (أكتوبر) ١٥٧٣م ظهرت السفن الاسبانية ترفع

شارة الصليب على أشرعتها قرب أرصفة حلق الواد ، وفي اليوم التالي أنزل (دون جوان) جنوده إلى الشاطىء وعددهم ١٣٠٠٠ ايطالى ، و٩٠٠٠ اسبانى ، و ٥٠٠٠ ألمانى ، وتحركت تلك القوات بخطى سريعة نحو مدنية تونس [١٤٧] ، فوصلتها فى ١١/١٠/١٩٧٣م بعدما هجرها أهلها ، وغادرتها الحامية العثمانية المتواضعة ، ودخلها الغزاة ، ، وكانت تؤرقهم أساطير الكنوز التى خبأها المغاربة هناك ، فانطلق الجنود يطوفون شوارع المدينة (٠٠٠) وظلوا لأيام عدة ينبشون المنازل، ويدقون الجدران ويحفرون في الساحات والسطوح ، ويقشرون جوانب الأسوار ، وعضادات الأبواب والنوافذ حتى لم يبق بيت واحد سليماً في المدينة الضخمة كلها . وعند بوابة (باب البحر) تجمع حشد مفاجىء حيث وقف الجنود على صفين وبطول ربع ميل يعرضون المسروقات للبيع ، وأخذ البحارة والمتسوقون يبتاعون بأرخص الأثمان بضائع الترف النادرة ، وسجاجيد القيروان ، والأقمشة الناعمة ، والأواني الفاخرة ، وأكياس البهارات والعطور وغيرها ، وحمل الضباط معهم أعمدة بكاملها من الرخام، والحجر الأرجوانى التي كانت تزدان بها - عادة - زوايا المنازل التونسية ، حتى أن (دون جوان) النمساوي[١٤٨] لم يتمالك نفسه أمام مشهد أحد أعمدة المسجد الكبير فأمر بانتزاعه وإرساله إلى ايطاليا [١٤٩]، وقرر القائد المغامر احتلال تونس وابقاء قواته فيها ، وبعد فرض سيطرته على تونس أبقى فيها حامية صليبية قوية ، وقفل عائداً إلى نابولي في ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٣ م ، وفي طريقة استولى على بنزرت ، (وسبار تيفانتو) في ٢٥ / ١٠ / ١٩٧٣ م ، ووصل نابولى في ١٢ / ١٢ / ١٩٧٣ م فاستقبل استقبال الأبطال ، ووافقة الملك فيليب الثانى على مارتكبه من جرائم . ولكنه لم يعينه ملكاً على تونس بل عيّنه نائباً عنه في ميلانو ، وعين « الجنرال الميلانى : سيربيلوني ابن عم جاكومو ميديتشى ، حاكماً على تونس، وأصبح قائداً رسمياً للقوات الاسبانية . وبقي في امرته ٨٠٠٠ جندي، أربعة آلاف جندي اسباني، وعدد مماثل من الايطاليين (٠٠٠) واحتفظت قلعة حلق الوادي بوضع

الإدارة الذاتية برئاسة قائدها كاربرا ، ومن الناحية العسكرية كانت القلعة مرتبطة بنظام دفاع مدينة تونس رغم أن هناك جزيرة صغيرة وسط خليج تونس تحمل اسم جزيرة (شيكلى) بني عليها سنة ١٥٤٠ م حصن سانت ياغو ، الذي تَم استخدامه لاقامة الاتصال بين القلعتين(١٥٠) ، .

عندما احتل الصليبيون تونس انسحب الوالى العثمانى جعفر باشا إلى القيروان ، ورافقه عدد كبير من الشرفاء التونسيين ، ثم بدأت المناوشات بين العثمانيين وانصارهم من جهه والصليبين وعملائهم من جهه أخرى فقد ، كان للعثمانيين أنصار في كل مكان ، ويمكن القول : إن حضورهم السياسى في المناطق المحلية كان دائماً ، في حين اعتبر مَنْ كان إلى جانب الاسبان ومولاي محمد خائناً (١٥١)، وكان يُقتل وتُصادر أمواله ، ولم تكن مخافر حيدر باشا الأمامية تبعد عن مدينة تونس أكثر من أربعين ميلاً ، وكان المجاهدون يشنون الغارات على المناطق الخاضعة لسيطرة الاسبان (٠٠٠) وبقي مولاي محمد عاجزاً عن فعل أي شيء حيال ذلك (١٥٢) ، ومع ذلك خاض عدة معارك على رأس قوات التحالف الصليبى وعملاء الصليبيين ، ، وفي ٥ / ٢ / ١٥٧٤ م نشبت معركة قرب الحمامات ، الواقعة على بعد ٦٥ كم إلى الجنوب من مدينة تونس ، تكبد فيها مولاى محمد هزيمة ساحقة ، وتمكنت القوات العثمانية من إرغام جيش (المدلل) على الفرار ، وهرب البدو والفرسان الاسبان دون أن يلتفتوا إلى الوراء ولو مرة واحدة (١٥٣) وكانت قوات (المدلل) مكونة من البدو الموالين لمولاي محمد ، والاسبان الغزاة ، بينما تكونت القوات العثمانية من ١٥٠٠ جندي عثماني ، ٢٠٠٠ مجاهد تونسي ، وبعد ذلك ارتفعت معنويات الشعب التونسي بقيادة حيدر باشا ، وامتدت الدعوة الجهادية إلى ليبيا ـ بقيادة مصطفى باشا الذي استشهد ـ والجزائر ـ بقيادة أحمد باشا ـ والمغرب بقيادة السلطان السعدي مولاي محمد وولي عهده الأمير عبد الملك، وازدادت النقمة على الصليبيين .

نقل وفد تونسي ـ إلى اسطنبول ـ أخبار الغزو والظلم الاسباني والحفصي للشعب التونسي

مما أقض مضاجع المسلمين وعلى رأسهم السلطان سليم الثاني الذي حزن على مالقي المسلمون على أيدي النصارى في تونس وشمال افرقيا ، وتحول حزن السلطان إلى غضب ، وه صمم على **فتح تونس**، وعين الوزير قوجا سنان باشا (سردارا) قائداً عاماً لجيشها، وفي ٢٣ محرم سنة ٩٨٢ هـ / ١٥ / ٥ / ١٥٧٤ م أقلعت العمارة العثمانية (١٥٤) من استانبول، وكانت مركبة من ٢٦٠ سفينة حربية ، ١٥ ماعونة و ١٥ غليونا تحت قيادة القبودان قليج علي باشا قاصدة مياه تونس ومرت في طريقها بإيطاليا فغزت جملة قلاع وبلاد، منها، ومن **جزيرة صقلية** لمساعدتها أعداء الدولة عليها في كل وقت، وبذلك انتشر خبر قدوم الدونما العثمانية عند دول أوربا وفي تلك الأثناء كان استولى طورغود باشا على **طرابلس الغرب**، ويقال أن عمارة سنان باشا مرت بها عند ذهابها الى تونس، وساعدته على فتحها، وفي أوائل ربيع الأول من السنة المذكورة وصل سنان باشا الى تونس وأخرج عساكره إلى البر بلا ممانع ثم أخذ في محاصرة **قلعة حلق الوادي**، ولم يستول عليها الابعد مضي ٣٣ يوما(١٥٥) من حصارها وقتل من حاميتها نحو ستة آلاف جندي وأسر ألفين، وغنم منها خمسمائة مدفع وكثيرا من آلات الحرب ولما رأى ان إزالة تلك القلعة أصوب من بقائها أمر فوضعوا تحتها ثلاثين لغما من البارود ودمروها تدميرا، وبعد استيلائه على باقي الاستحكامات دخل بالجنود المدينة(١٥٦) في رمضان من تلك السنة، ونادى في الناس بالامان فهدأ روعهم وعادو الى أعمالهم، وأقيمت الخطبة باسم السلطان وضربت السكة باسمه أيضا وعين أحد القواد محافظا عليهم، وأبقى معه قوة كافية لحفظها بعد ان رتب الحكومة، وجعل لها مايناسب من القوانين، **وصارت تونس من وقتئذ ايالة عثمانية**، ودخلت في عدد الوجاقات كالجزائر وطرابلس الغرب، ثم عاد هو وقلنج علي باشا بالعمارة الى دار الخلافة، ومعهم ما اكتسبوه من الغنائم، ولما وصلوا رحب السلطان بهم وكافأهم وكافة من كان معهم من الجنود.

أثار فتح تونس وتحريرها من الصليبين أمواجاً عارمة من الأفراح في عموم ديار

الإسلام ، وأثناء ذلك خاطب الصدر الأعظم محمد باشا صوقوللي سفير البندقية قائلاً : «حلقتم ذقوننا في معركة ليبانتو فقطعنا أيديكم في تونس ، والذقون ينبت غيرها ، أما الأيدي فلا ينبت غيرها أبداً . (١٥٧)» وإزاء الانتصار الاسلامي العثماني تراجع النفوذ الصليبي عن شمالي افريقيا نهائياً ، وبرز المسلمون الأندلسيون كقوة فاعلة في شمال افريقيا لما بذله هؤلاء من بطولات في معارك التحرير والتصدي للاسبان على الساحة الافريقية والعثمانية بعد رحيلهم عن بلادهم، وتشكيلهم جالية أندلسية في تونس وغيرها من بلاد المسلمين، أما فلول الحفصيين ، ومرابطو الشابية ، فشكلوا معارضة للعثمانيين ، وقاموا بدور العملاء، لأوروبا الصليبية ، وهاجر بعضهم إلى أوربا واعتنقوا الديانة الكاثوليكية !!

وبعد تحرير شمال افريقيا توفي السلطان سليم الثاني – رحمه الله – في يوم الأربعاء ١٥/ ١٢/ ١٥٧٤م الموافق ١ رمضان سنه ٩٨٢ هـ وكان عمره (٥٢) سنة بعدما بنى جامع السليمية(١٥٨) في أدرنة سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٣م أعلى الجوامع الاسلامية ارتفاعاً، فجمع بذلك بين سعة الجامع وسعة الدولة الاسلامية وخلفه ابنه السلطان مراد خان الثالث .

ملاحظة: كتبت هذا البحث منذ ربع قرن، وخلال الفترة التي أعقبت كتابة البحث قرأت الكثير من الكتب، واستجدت لي معلومات كثيرة منها: أن هولاكو كان سيعيا باطنيا، وهذا مذكور في كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، وتيمورلن كان شيعيا، ومجازره دليل على باطنيته وهو من سلالة الإليخانيين المغول الذين فرضوا التشيع بالسيف في عهد ملكهم أوليجايتو الذي نقش أسماء الأئمة الباطنيين 12 على نقوده. وحسن أوزون عدو السلطان الفاتح هو جدّ إسماعيل الصفوي الباطني، وصديق الشاه هو قانصوه الغوري الشيعي وهذه المعلومة موجودة في كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي النهروالي،

وهنالك الكثير من المعلومات التي نشرت بعضها في جريدة الحياة حينما كتبت سلسلة التاريخ العثماني حتى عهد السلطان أبايزيد الثاني، وتحدثت عن ذلك التاريخ في عدد من البرامج التلفزيونية، وكلها موجودة في موقعي /http://www.dr-mahmoud.com

(١) سورة الفرقان ، الآية : ٥٤

(٢) سورة النور ، الآية : ٤٥

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠

(٤) سورة هود ، الآية : ٧

(٥) سورة يونس ، الآية : ٢٢

(٦) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠

(٧) سورة ابراهيم ، الآية : ٣٢

(٨) سورة المائدة ، الآية : ٩٦

(٩) سورة النحل ، الآية : ١٤

(١٠) سورة الأعراف ، الآيات : ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ .

(١١) سورة الفرقان ، الآيتان : ٣٧ و ٣٨

(١٢) سورة الكهف ، الآيتان : ٧١ و ٧٩

(١٣) سورة العنكبوت ، الآيتان : ١٤ ـ ١٥

(١٤) سورة البقرة ، الآية : ١٦٤ ، وسورة الأعراف ، الآية : ٦٤ ، وسورة يونس ، الآية ٢٢ ، و٧٣ ، وسورة هود ، الآية : ٣٧ ، و٣٨ ، وسورة ابراهيم ، الآية : ٣٢ ، وسورة النحل ، الآية : ١٤ ، وسورة الاسراء، الآية : ٦٦ ، وسورة الحج ، الآية : ٦٥ ، وسورة المؤمنون ، الآية : ١٢ ، و٢٧ و ٢٨ ، وسورة الشعراء ، الاية : ١١٩ ، وسورة العنكبوت، الاية: ٦٥ ، وسورة الروم ،الآية : ٤٦ ، وسورة لقمان ، الآية : ٣١، وسورة فاطر، الآية : ١٢، وسورة يسّ ، الآية : ٤١ ، وسورة الصافات ، الآية : ١٤٠، وسورة غافر ، الآية: ٨٠ ، وسورة الزخرف ، الآية : ١٢ وسورة الجاثية، الآية : ١٢

(١٥) انظر كتاب : تخريج الدلالات السمعية ، على ما كان في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، تأليف : علي بن محمد الخزاعي (٧٨٤٩هـ) وتحقيق الدكتور إحسان عباس . منشورات دار الغرب الاسلامي في بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، الصفحة : ٤٨٢ وما بعدها .

(١٦) نفس المرجع (١٥) ص : ٤٨٤ ، نقلاً عن الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ، وسيرة ابن اسحاق ٣٥٩/٢

(١٧) تخريج الدلالات السمعية ص : ٤٨٥ ، وصحيح البخاري ١١٠/٤ ، وانظر صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ١٦٩ ومسند أحمد بن حنبل ج ٤/ ص ٤٠٣ ، وكان مع أبي موسى الأشعري ، أخواه : أبو بريدة عامر بن عبد الله بن قيس الأشعري ، وأبو رُهْمٍ ؛ مجدي الأشعري ، وأبو موسي : هو عبد الله بن قيس الأشعري . وذكر ابن حزم الذين قدموا من الحبشة اثر فتح خيبر ، انظر جوامع السيرة ص : ٥٥ ـ ٦٥ وص : ٢١٧، طبعة دار المعارف بمصر .

(١٨) انظر الموطأ ، الطهارة : ١٢ ، الصيد : ١٢

(١٩) انظر : سنن أبي داود ، الطهار ة : ٤١ ، وسنن الترمذي ، الطهارة : ٥٢ ، وسنن النسائي ، الطهارة : ٤٦ والمياه : ٤ ، والصيد : ٣٥ ، وسنن ابن ماجة ، الطهارة : ٣٨ ، والصيد : ١٨ ، وسنن الدارمي ؛ الوضوء : ٥٣ ، والصيد : ٦ ، ومسند أحمد بن حنبل ج ٢/ص : ٢٣٧ ، ٣٦١ ، ٣٧٨، ٣٩٣ ، وج ٣ / ص : ٣٧٣ ، وج ٥ / ص : ٣٦٥

(٢٠) أم حرام : الرميصاء ، وقيل الغميصاء ، انظر الاستيعاب لابن عبد البر : ١٩٣١ ، وتخريج الدلالات السمعية ص : ٤٨٨ ـ ٤٩٠

(٢١) صحيح البخاري ، الجهاد : ٨ و ٧٥ ، والاستئذان : ٤١ ، وتعبير الرؤيا : ١٢ ، وصحيح مسلم ، إمارة : ١٦٠ و ١٦١ ، والجهاد : ٣٩ ، وسنن أبي داود ، الجهاد : ٩ ، وسنن الترمذي : فضائل الجهاد : ١٥ وسنن النسائي : الجهاد : ٤٠ ، وسنن ابن ماجة : الجهاد : ١٠ ، وسنن الدارمي : الجهاد : ٣٨ ، ومسند أحمد بن حنبل ج ٣ / ص : ٢٤٠ و ٢٦٤ و ج ٦

و ج ٦ / ص : ٣٦١ و ٤٢٣ و ٤٣٥ .

(٢٢) انظر تاريخ الطبري ج ٤/ ص ٢٥٣- ٢٥٥؛ والكامل لابن الأثير ؛ طبعة العامرة ببولاق سنة ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م ، ج ٣ ص: ٣٨ - ٣٩، تاريخ سنة : ٢٧ هـ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ١ / ص : ٨٤ - ٨٥ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص : ١٧٣ ، طبعة بيروت دار القلم ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م، والبيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي، ج ٢ - ص: ٤، والبداية والنهاية، جريدة الحياة الدولية العدد ١٠٩٥٤، الصادر يوم الاحد ١٩٩٣/٢/٧/ ١٦ شعبان ١٤١٣هـ، ص التراث، مقال فتح الاندلس.

(٢٣) «علاوه لي اثمار التواريخ مع ذيل ، اثر كلك محمد شمعي » طبع اسطنبول سنة ١٢٩٥هـ ، باللغة العثمانية التركية . ص : ٥٥ ، وأنظر تاريخ الدولة العلية ، العثمانية ، تأليف محمد فريد بك المحامي ، تحقيق الدكتور إحسان حقي ص : ١١٨ ، الطبعة السادسة ، دار النفائس بيروت ، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

(٢٤) « مرآت تاريخ عثماني ، تأليف سامي ، وعزيز ، وشوقي » طبع اسطنبول سنة ١٢٩٣ ، باللغة العثمانية ، ص : ٩ - ١٠ ، وهذا الكتاب كان مقرراً للمدارس الرشدية العثمانية، وهو مستمد من كتب التاريخ التالية : منجم باشي ، وخير الله أفندي (نشانجي) وخبر الصحيح ، وفذلكة تاريخ عثماني ، ووقعة حميدية ، وأس ظفر ، وتاريخ نعيما ، وكلشن معارف ، وتاريخ واصف ، وتاج التواريخ ، وتاريخ عاصم ، وتاريخ لطفي . حسبما صرح به المؤلفون في المقدمة ص : ٣ .

(٢٥) في مرآت تاريخ عثماني ص : ٢٠ ؛ « اورنوس » وفي تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ١٢٠ ؛ « افرينوس » .

(٢٦) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ١٢٦ - ١٢٧ ، ومرآت تاريخ عثماني ص : ٢٠ - ٢١ ، وتاريخ الدولة العثمانية ، تأليف يلماز أوز تونا : ج ١ / ص : ٩٥ - ٩٦ ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل ، اسطنبول ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

(٢٧) مرآت تاريخ عثماني ص : ٢٥ ـ ٣٨ .

(٢٨) علاوه لي اثمار التواريخ مع ذيل ص : ٥٧ ، وقد حسب عمره يلماز أوز تونا حسب التاريخ الشمسي ، فقال : « وعمره ٦٣٫٥ سنة بعد سلطنة دامت ٢٧ سنة ، و٣ أشهر » تاريخ الدولة العثمانية ج ١ / ص ١٠٠ .

(٢٩) تاريخ الدولة العثمانية ـ أوزتونا ـ ج ١ / ص : ١٠٣

(٣٠) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ١٤٦ ـ ١٤٨ ، وحقائق الأخبار عن دول البحار ، تأليف الميرالاي اسماعيل سرهنك ، ناظر المدارس الحربية ، ج ١ / ص ٤٩٦ ـ ٤٩٨ ، الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١٢هـ

(٣١) تاريخ الدولة العثمانية ـ اوزتونا ـ ج ١ / ص : ١١٧

(٣٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ١٥٢ ، وأردف : « قال بعض المؤرخين أن السلطان سليمان الأول هو أول من أرسل الصرة في سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م بعد فتح مصر ، ولكن اتفق من يوثق بهم من المؤرخين ـ خصوصاً صولاق زادة ـ على أن السلطان محمد چلبي هو أول من أرسلها . » نفس المصدر ص : ١٥٢ ، وقال اسماعيل سرهنك : « وهو أول سلطان عثماني رتب الهدية السنوية التي ترسل ـ للآن ـ إلى الحرمين الشريفين باسم الصرة ، وقال بعضهم : إن أول من أرسل الصرة هو : السلطان الغازي سليم الأول بعد فتحه مصر سنة ٩٢٣هـ ، إلا أن رواية المؤرخين الذين يوثق بكلامهم تؤيد أن السلطان محمد چلبي هو أول من رتب ذلك . » حقائق الأخبار عن دول البحار ج ١ / ص : ٤٩٩ . وهكذا يتضح لنا أن ورود اسم سليمان الأول في رواية تاريخ الدولة العلية العثمانية هو خطأ والصحيح سليم الأول. وذلك واضح من التاريخ ٩٢٣هـ / ١٥١٧م .

(٣٣) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ١ / ص : ٥٠٠

(٣٤) المصدر السابق ج ١ / ص : ٥٠١

(٣٥) نهرٌ صالح لتسيير السفن يصب في البحر الأسود ويمر من رورمانيا وبلغراد عاصمة صربيا ، ومن المجر ، والنمسا .

(٣٦) مدينة صربية تقع علي ضفة نهر الدانوب ، وكانت ودين (فدين) مركز ولاية في البلقان.

(٣٧) تقع (كليبولي) « غليبولي ، على ضفة مضيق الدردنيل الذي يربط بحر مرمرة بالبحار الأوروبية ، وتبعد عن مدينة أدرنة ١٤٠كم ، وهو على الساحل الأوروبي بمواجهة چنق قلعة.

(٣٨و ٣٩و ٤٠) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ١ / ص : ٥٠١

(٤١) تاريخ الدولة العثمانية ـ أوزتونا ـ ج ١ / ص : ١٢٢

(٤٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ محمد فريد ـ ص : ١٥٩ ، وذكر أوزتونا : « في ٣ شباط ١٤٥١م توفي في سراي أدرنة سلطان المجاهدين أبو الخيرات السلطان مراد خان الثاني، بعد مرض دام ٤ أيام ، كان عمره يتجاوز ال ٤٦ بـ ٨ أشهر . مجموع سلطناته الثلاث ٢٩ سنة ، وإجمال المدة من جلوسه لحين وفاته ٢٩سنة و١٠ أشهر و٢٦ يوماً . نقل جثمانه إلى بورصة . ». تاريخ الدولة العثمانية ج ١ / ص : ١٢٩ . وجاء في علاوه لي اثمار التواريخ مع ذيل ص : ٦١ ، ان مدة سلطنته ثلاثون سنة ، وستة شهور ، وعمره ٤٩ سنة .

(٤٣) اتخذ الفاتح الخطوة الأولى سنة ٨٥٦ / ١٤٥٢ م حيث بنى « بوغاز كسِنْ حصاري » ويسمى الآن « روملي حصاري » موقع هذه القلعة على ضفاف مضيق البوسفور الغربية الأوروبية ، مقابل قلعة « أناضولي حصاري » التي شيدها السلطان يلدرم بايزيد ـ من قبل ـ وما زالت القلعتان قائمتان تسيتران على مضيق ابوسفول، ثم حاصر الجيش العثماني القسطنطينية بقيادة السلطان الفاتح ابتداء من نيسان / أبريل سنة ١٤٥٣ م ، انظر تاريخ الدولة العثمانية ـ أوزتونا ـ ج ١ / ص : ١٣١

(٤٤) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ١ / ص : ٥٠٩

(٤٥) يقع قصر « طولمة بغچة » أي : « الحديقة المحشوة » ، على ساحل مضيق البوسفور من الناحية الأوروبية إلى الشمال من خليج القرن الذهبي .

(٤٦) تقع محلة قاسم باشا على الضفة الشمالية لخليج القرن الذهبي ، أي في القسم

الشمالي من شطر اسطنبول الأوروبي .

(٤٧) بيك أوغلي : اسم المحلة المرتفعة في القسم الأوروبي الشمالي من مدينة اسطنبول وتقع إلى الشمال من محلة « غلطة » وإلى الجنوب من ميدان تقسيم .

(٤٨) الغراب : اسم نوع من أنواع السفن الحربية .

(٤٩) جنوة : مدينة قديمة يعود تاريخ إنشائها إلى سنة ٧٠٠ق: م تقريباً ، تقع الآن في ايطاليا ، وكانت جمهورية مستقلة منافسة لجمهورية البندقية .

(٥٠) غلطة : اسم محلة قديمة جداً في الشطر الشمالي من اسطنبول تقع إلى الغرب من مضيق البوسفور ، وإلى الشمال من خليج القرن الذهب ، وفيها أقدم جامع في اسطنبول هو جامع « بير آلطي » فحوّله يزيد بن معاوية - رضي الله عنهما - إلى جامع ومازال جامعاً حتى الآن ، وفيها جامع العرب الذي بناه مسلمة بن عبد الملك بن مروان سنة ٩٨هـ ، ومازال قائماً .

(٥١) دو ننمه : كلمة تركية عثمانية معناها : اسطول .

(٥٢) جوستنياني: قائد جنوي قاد الحرب الدفاعية عن القسطنطينية حتى قتل وفتحت القسطنطينية .

(٥٣) الجنويزي : منسوب إلى جنوة .

(٥٤) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ١ /ص ٥٠٨

(٥٥) تاريخ الدوله العثمانية - أوزتونا - ج ١ / ص : ١٣٣ وزاد في الصفحة : ١٣٤ : أن الفاتح ، قام بعزل بلطة أوغلى سليمان بك - قائد البحرية - وعين بدلاً منه المشير البحري (قبودان دريا) أحمد بك بن جالي بك أحد قواد البحر السابقين .»

(٥٦) انظر رقم : ٥٠

(٥٧) تاريخ الدولة العثمانية - اوزتونا - ج ١/ ص : ١٤١

(٥٨) تاريخ الدولة العثمانية ج ١ / ص ١٤٤ نقلاً عن كتاب : Pirenne:Histore Universell 2/300

(٥٩) الاغريق : اليونان

(٦٠) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ١/ ص : ٥١١ ، والمورة: هي : اليونان

(٦١) تاريخ الدولة العثمانية ـ أوزتونا ـ ج ١/ ص : ١٤٩

(٦٢) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ١/ ص : ٥١٢

(٦٣) نفس المرجع السابق ج ١/ ص : ٥١٣

(٦٤) تقع مدينة قسطموني في شمالي هضبة الأناضول التركية ، وتبعد حوالي ١٠٠كم عن ساحل البحر الأسود الجنوبي .

(٦٥) سينوب: مدينة ساحلية حصينة على الشاطيء الجنوبي للبحر الأسود ، فيها ميناء مهم .

(٦٦) كانت طرابزون مقر الملك البيزنطي المستقل عن القسطنطينية ، وقد فتحها العثمانيون سنة ١٤٦١م ، وهي تقع على ساحل البحر الأسود التركي إلى الشرق من سينوب، وإلى الغرب من ريزه . وتبعد عن مدينة أرض روم شمالاً مسافة ١٤٠كم . ومازال حولها شعب من اللاز ، وهو شعب مسلم لكنه يتكلم لغة خاصة به.

(٦٧) تاريخ الدولة العثمانية ـ أوزتونا ـ ج ١/ ص : ١٥١

(٦٨) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ١/ ص : ٥١٤ ، والمحل الحالي يسمى « دنيز ترسانه سي » ، ويقع على الضفة الشمالية لخليج القرن الذهبي في القسم الأوروبي من مدينة اسطنبول إلى الجنوب الغربي من جامع العرب ـ الذي بناه الأمويون اثناء حصار القسطنطينية، ومازال قائماً ـ ، على الرأس الشمالي للجسر الأوسط المقام على الخليج الذي تعبره ثلاثة جسور بين جنوب اسطنبول وشمالها ، وأقدم تلك الجسور جسر «غلطة» .

(٦٩) ولاد : أي : الشيطان الأسود ، حكم بلاد الأفلاق حكماً استبدادياً ، والأفلاق هي القسم الغربي من رومانيا ـ حالياً ـ وتمتد من جبال كربات شمالاً ، وترويها عدة أنهار أشهرها نهر الطونة (الدانوب) كانت مستعمرة رومانية ، وحكمتها سلالة أطلق على حكامها اسم «ويوده البلاد» ، وكان أشهرهم : رودلف الأسود ١٢٩٠م ، وأطلق الأتراك على ولاد

لقب : (قازقلي يووده) ابن دراقوله ، هذا ما جاء في كتاب حقآئق الأخبار (بتصرف) ج ١/ ص: ٥١٤ ، ولكن أوزتونا قال : « كان (Wald Tapes) الثالث (١٤٥٦ - ١٤٦٢) الذي يسميه الأتراك (قازقلي فويفودا) (أي : الأمير ذو الأوتاد) المانياك (أي : المجنون) قد تمرد ورفض السيادة العثمانية ، وهرب من الفاتح ولجأ إلى المجر ، فقبضت عليه المجر وسجنته ١٥ سنة بسبب اشتهاره بالظلم . » ج ١ / ص : ١٥٢

(٧٠) حقائق الأخبار عن عالم البحار ، ج ١/ ص : ٥١٤

(٧١) (بوغاز چنق قلعة) : هو مضيق الدردنيل الذي يصل ما بين بحر ايجة جنوباً ، وبحر مرمرة شمالاً ، وتقع على ضفته الغربيه شبه جزيرة (غاليبولي) « Galliboli » ، وعلى ضفته الشرقية القلعة المشهورة باسم (چنق قلعة) «çanak kalesi» .

(٧٢) (بوغاز اسطنبول) : هو مضيق البوسفور الذي يصل ما بين بحر مرمرة جنوباً والبحر الأسود شمالاً ، ويقسم مدينة اسطنبول إلى قسمين الشرقي آسيوي ، والغربي أوروبي ، وعلى المضيق جسران معلقان حديثان، وكان عليه جسر واحد أيام المغفور له السلطان عبد الحميد، وفيه قال شوقي رحمه الله قصيدته التى استهلها بقوله:

أمير المؤمنين رأيت جسراً
أمر على السراط ولاعليه
له خشبا يجوع السوس فيه
وتمضي الفقر لاتأوي إليه

(٧٣) تاريخ الدولة العثمانية - اوزتونا - ج ١/ ص : ١٥٢

(٧٤) مديللي ، ويقال ميدللي ، جزيرة كبيرة في بحر إيجة قرب الشاطيء الآسيوي ، وتسمى الآن « Mitilini: Mitylene » ، ويروى أن أم خير الدين بربروس من هذه الجزيرة ، وقد تزوجها والده الأناضولي يعقوب الذي كان عسكرياً عثمانياً من عساكر الفرسان.

(٧٥) حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١/ ص : ٥١٤

(٧٦) من جزر الأرخبيل اليوناني " Negroponte " إلى الشمال الغربي من جزيرة أندرو"Andros" انظر حقائق الأخبار عن دول البحار ج ١/ ص : ٥١٥.

(٧٧) تقع شبه جزيرة القرم على الساحل الشمالي للبحر الأسود والساحل الجنوبي لبحر آزاق (آزوف) وقد هجّر الروس القياصرة ، ومن تبعهم من الشيوعيين أهاليها ونفوهم إلى سيبريا ، وقام المقبور نيكتا خروتشوف بمنحها لجمهورية أوكرانيا ، وهنالك الآن مشكلة النزاع الروسي الأوكراني على هذه البلاد بينما أهلها في المنفى . (إنها عدالة النظام العالمي الجديد) ، انظر حقائق الأخبار عن عالم البحار ، ج ١/ ص : ٥١٦ ، والتاريخ الاسلامي ، تأليف محمود شاكر ، ج ٢١ التاريخ المعاصر : المسلمون في الامبراطورية الروسية ، منشورات المكتب الاسلامي ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، الباب الثاني ص: ٤٩ - ٦٤، والباب الرابع ص : ١٩٠ - ١٩٨ ، وحاضر العالم الاسلامي وقضاياه المعاصرة ، تأليف الدكتور جميل عبد الله المصري ، نشر دار أم القرى ، الاردن ، الطبعة الثانية ١٤٠٥/ ١٩٨٥م ص :٥٠٣ - ٥٠٦ . ، كانت مساحة القرم : ٢٦٠٠٠كم٢ ، وكانت خانية القرم تسيطر على مساحة مليون كم٢ خارج شبه جزيرة القرم ، وكانت العاصمة (باغچه سراي) على مسافة ١٢٦٠كم من موسكو ، و١٢٨٠ كم عن وارسو ، و١٢٧٠كم عن فيينا ، و٦٠٠كم عن اسطنبول ، و٣٣٠كم عن ميناء سينوب التركي

(٧٨) يدعي - أوزتونا - أن هذه الحملة قد خرجت من اسطنبول في ١٩ / ٥ / ١٤٧٥م، وضم اسطولها (١٨٣ سفينة حربية + ٢٩٠ سفينة نقل = ٤٧٣) ورسا في ميناء كفه في قرم (١ / ٦/ ١٤٧٥م) تاريخ الدولة العثمانية ١ / ١٧٠ - ١٧١

(٧٩) حقآئق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ / ص : ٥١٦ - ٥١٧

(٨٠) حقائق الأخبار ، ج ١/ ص : ٥١٨ ، وتاريخ الدولة العثمانية - أوزتونا - ج ١ / ص: ١٧٣ ، ومرآت تاريخ عثماني ، ص : ١٠٥ وتاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ١٧٦ ، وتقع جزيرة رودس على الطرف الشمالي للبحر الأبيض المتوسط ، جنوبي تركيا ، فتحها السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٢م وألحقها بالخلافة العثمانية .

(٨١) حول الآراء حول وفاة السلطان ،مات الفاتح نتيجة السم الذي دسه له بصورة تدريجية العميل البندقي أحد أطبائه الخاصين المسمى : مايسترو لاكوبو ، AMAESTRO LACOPO، الذي ادعى أنه اهتدى إلى الاسلام ؛ وتسمي باسم : يعقوب باشا ، انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ١٧٦ ، ومرآت تاريخ عثماني ص : ١٠٦ ، وعلاولي اثمار التواريخ ، ص : ٦٢

(٨٢) تاريخ الدولة العثمانية - أوزتونا - ج ١/ ص : ١٧٧

(٨٣) حقائق الأخبار عن دول البحار ، ص : ٥٢٠

(٨٤) هو اللواء البحري : أحمد كمال الدين بك ابن قره مانلي علي ، مات أثناء غرق سفينته عند عودته من حملة اسبانيا بالقرب من قاعدة غاليبولي في ١٦ / ١ / ١٥١١م وقد قاد عدة حملات لنصرة مسلمي الأندلس ، وانقذ العديد من المهجرين المسلمين ، وقد ذهب إلى فاس وقابل آخر ولي عهد للأندلس ، ابن محمد ، وكان يرافقه ابن أخيه محيي الدين بيري رئيس أهم راسمي الخرائط البحرية في ذلك الزمان . (أوزتونا ج ١ /١٩٧)

(٨٥)عقد بيري رئيس PiRi REis" في كتابه (كتاب البحرية) -KITAB - i" BAHRIYE" فصلا تحت عنوان ، بو فصل اينه بختي كنارلرن بيان إيدر ، أي : (فصل لبيان محيط اينه بختي) وورد الفصل في المجلد الثاني ص : ١٥٧ / آ - ١٥٨ / آ ، والأصل باللغة العثمانية المكتوبة بالحروف العربية ، وقد ثبت في الكتاب النص الأصلي طبق الأصل، وإلى جانبه نصه بالحروف اللاتينية التركية التي أقرها آتاتورك سنة ١٩٢٨م ، كما ترجم النص إلى اللغة التركية الحديثة واللغة الانكليزية ، والترجمات في الصفحات : ٦٧٥ ، ٦٧٧ ، ٦٧٩ ، وفي الورقة ١٥٨ / ب من الأصل توجد خريطه لخليج اينه بختي ، توضح موقعه والاستحكامات المقامة على شواطئه .

يطلق الاتراك الآن على هذا الموقع اسم "INABAHTI" ويطلق عليه اليونان " NEOPAKTOS"كما يطلق عليه اسم " LAPENTE " وفي اللغة الانكليزية : -Le " panto " وتوجد في هذا الثغر آثار عثمانية اسلامية مثل جامع بيك زاده ولي جامعي ،

ومسجد أبي السعود أفندي ، وجامع السلطان مصطفى، وللمزيد من الاطلاع أنظر كتاب الآثار العثمانية المعمارية في أوربا ؛ جـ٣ / الكتاب / ٢ / ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، وص ٢٨٨ واسم الكتاب باللغة التركية : " AVRUPA ' DA Osmanli mimari Eserler " تأليف أكرم حقي آي وردي ، منشورات اسطنبول ١٩٨٢م وانظر قاموس الأعلام ، تأليف شمس الدين سامي ، منشورات اسطنبول سنة ١٩٠٨ ، باللغة العثمانية ، ص ٣٩٨٦ ، مادة : لبانتي ، حيث يقول : انها تبعد عن أثينا ١٦٩كم ، وعدد سكانها - آنذاك - ٢٠٠٠ نسمة ، واسمها القديم : « ناوياقتوس » والمستعمل : «اينه بختي » . وانظر كتاب العمارة العثمانية في زمن السلطان بايزيد الثاني وياووظ سليم (٨٨٦ - ٩٢٦هـ / ١٤٨١ - ١٥٢٠م) منشورات اسطنبول باللغة التركية الحديثة ١٩٨٣ / المجلد الخامس ص : ١٥٦ - ١٥٧ واسم الكتاب باللغة التركية " Osmanli Mimarisin De II . Bayezid . Yavuz Selim Devri . "

(٨٦) ذكر اوزتونا باسم « انطونيو كريمالى » انظر تاريخ الدولة العثمانية ج ١ / ص : ١٩٩

(٨٧) حقائق الأخبار عن دول البحار ج ١ / ص : ٥٢٢ - ٥٢٣

(٨٨) تاريخ الدولة العثمانية - أوزتونا - ج ١ / ص : ٢١١

(٨٩) حقائق الأخبار ج ١ / ص : ٥٢٥ - ٥٣٢ ، ومرآت تاريخي عثماني ، ص : ١٣٢ - ١٥٢

(٩٠) داماد ، كلمة تركية تعني : الصهر ، وقد خصصت للذين يتزوجون بأميرات عثمانيات .

(٩١) حقائق الأخبار ج ١ / ص : ٥٣٤

(٩٢) هو " Villiers delisle Adam " واسمه فيليب ولد سنة ١٤٦٤م ومات سنة ١٥٣٤م ، انظر تاريخ الدولة العثمانية ، هامش ، ص : ٢٠٦ .

(٩٣) حقائق الأخبار ، ج ١ / ص : ٥٣٤ - ٥٣٥

(٩٤) نفسه ج ١ / ص : ٥٣٥ ، وانظر تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ٢٣٩

(٩٥) أطلق عليه لقب (قبودان السويس) : (قبطان السويس) كما أطلق عليه : قبطان مصر والهند ، وكان مستقلاً عن قائد القوات البحرية العثمانية (قبودان دوريا) وكان تابعاً لوالي مصر بالأمور المالية ، ومرتبط مباشرة بالديون السلطاني بالنسبة للأمور العسكرية .

(٩٦) حقائق الأخبار ج ١ / ص : ٥٤٨

(٩٧) مؤلف كتاب البحرية ، وكتابه مطبوع انظر الهامش رقم : ٨٥

(٩٨) حقائق الأخبار ج ١ / ص : ٥٤٩ _ ٥٥٠

(٩٩) المرجع السابق ج ١ / ص : ٥٥٠

(١٠٠) ومعناها : اللحية الحمراء ، او الصهباء ، وتلفظ الكلمة بربروس ، و(بارب روس) وباروس ، وبرباروس.

(١٠١) يستعمل العرب اسم : عروج ، وهو خطأ لأن معناه التركي ليس له علاقة بالعرج ، وانما أوروج، تعني : الصيام .

(١٠٢) حقائق الأخبار ج ١ / ص : ٥٣٨ ، وذهب أوزتونا إلى القول : انهم « جاؤوا من فاراسي (بالكسير) وأخذوا (تيماراً) في شبه جزيرة غاليبولي ، إيجة آباد (مايدوس) الخ . . . »

تاريخ الدولة العثمانية ج ١ / ص : ٢٣٩ .

(١٠٣) حقائق الأخبار ، ج ١ / ص : ٥٣٨

(١٠٤) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ٢٣٧

(١٠٥) انظر حقائق الأخبار ، ج ١ / ص : ٥٤١ : ٥٤٢

(١٠٦) المرجع السابع ، ج ١ / ص : ٥٤١

(١٠٧) تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٢٣٨ ، وموسوعة اسطنبول ، مادة : بربروس، (باللغة التركية) ومكتوب على قبة قبره (مات رئيس البحر : ٩٥٣ هـ)

(١٠٨) ويرد اسمه أحيانا : (طرغد جه بك) . من مشاهير قادة البحر العثمانيين ، وهو من الاناضول ، قاتل مع بربروس ثم أسره (اندريه دورية) ولكن خير الدين بربروس حرره

من الأسر عندما هاجم مدينة جلوة .

(١٠٩) حقائق الأخبار ج ١ / ص : ٥٥١

(١١٠) المرجع السابق ج ١ / ص : ٥٥٢ - ٥٥٣ ، وجربة جزيرة ليبية . ، وانظر تاريخ الدولة العثمانية - أوزتونا - ج ١ / ص : ٣١٤ - ٣١٩

(١١١) اسمها عند الأوروبين : روكسلان ، وعند الاتراك : خُرَّم ، وتكتب : خورّم . وتُتهم بالسيطرة على القانوني ، ومناصرة أعداء الاسلام من روس وأوروبيين . انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ٢٤٦ .

(١١٢) تاريخ الدولة العلية ص : ٢٥٣

(١١٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص : ٢٥٣

(١١٤) خطط الشام ج ٢ / ص : ٢٢٨

(١١٥) خطط الشام : ج ٢ / ص : ٢٢٨ - ٢٢٩

(١١٦) قصة الحضارة ج ٣٠ / ص : ١٤١ ، تأليف ول ديورانت ، والمجلد ترجمة محمد علي أبو درة ، ومراجعة علي أدهم ، واختارته وأنفقت على ترجمته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية جاء في كتاب تاريخ مصر من الفتح العثماني، إلى قبيل الوقت الحاضر، تأليف عمر الأسكندري، وسليم حسن، وراجعه الكبتن ا .ج. سفِدْج ونشرته مكتبة مدبولي في القاهرة سنة ١٩٩٠م: «بعد سليمان الأكبر تولى المُلْك ابنه سليم الثاني، وكان ضعيفاً لاهياً سكيراً، ولذلك لُقب بالمجنون ...» ص ٣٦ ومثل هذه الافتراءات كثير في طيات كتب غير المنصفين ، وقد صدر سنة ١٩٧٦م وهذا الكتاب الضخم مملوء بالسموم ضد العرب والمسلمين !!

(١١٧) المتغلبين : هم أنصار الإمام الزيدي مطهر بن شرف الدين ، وقد سيطر علي تعز ، وعدن ، ولكنه تراجع إلى قلعة كوكبان التي فتحها العثمانيون ؛ فاستسلم الامام الزيدي، وأمنه السلطان ولم يقاصصه .

(١١٨) حقائق الأخبار عن عالم البحار ، ج ١ / ص ٥٥٦ -٥٥٧

(١١٩) تاريخ الدولة العثمانية - أوزتونا - ج ١ / ص ٣٦٦

(١٢٠) حقائق الأخبار ج ١/ ص : ٥٥٧ - ٥٥٨، وادعى مؤلفا تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى ماقبل الوقت الحاضر ان «فتح هذه الجزيرة كلف الدولة خمسين ألف مقاتل» انظر ص ٣٧ (انظر رقم ١١٦) .

(١٢١) اشتهرت قازان قبل الاحتلال الروسي بمطبعتها العربية التي طبعت الكثير من الكتب كما طبعت القرآن الكريم عدة مرات ، شاهدت منها أربع طبعات مختلفة الأحجام ، وفي حواشيها القراءات القرآنية المشهورة ،

(١٢٢) ولد ايفان الرهيب سنة ١٥٣٠م واستلم الحكم سنة ١٥٤٧، ومات سنة ١٥٨٤ ، انظر :

" Universal Dictionary. 1987 . London . ivon (v) the terrible of Russia . p . 819

(١٢٣) تاريخ الدولة العثمانية - أوزتونا - ج ١ / ص : ٣٧٦ - ٣٧٧

(١٢٤) المرجع السابق ج ١ / ص : ٣٧١ ، نقلاً عن هامر ٦ / ١ - ٤١٠ "Hammer "

(١٢٥) المرجع السابق ج ١ / ص : ٣٧١ ، وأشير إلى هذه الاتفاقية في تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ٢٥٧

(١٢٦) دون جوان: هو ابن كارلوس الثاني سفَاحاً لازواجاً ، وكان مولده سنة ١٥٤٥م في مدينة راتسبون ، وفي سنة ١٥٧٠م كلفه الملك الكاثوليكي الاسباني فيليب الثاني بإذلال المسلمين في الأندلس - اقليم غرناطة - فذاقوا منه الأمرين حتى لم يترك أمامهم سوى أحد خيارين الموت أو الهجرة . وفى سنة ١٥٧٦م قاد المعارك ضد الفلمنك فقهرهم سنة ١٥٧٨ وفى تلك السنة كان حتفه - انظر تحفة الكبار في عالم البحار ، تأليف كاتب جلبى ، المعروف بحاجى خليفة ، ص : ٩٢ ، وتاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ٢٥٧ ، وتاريخ الدولة العثمانية - أوزتونا ١ ج١ / ص : ٣٧٢ .

(١٢٧) قدم أوزتونا رقماً آخر لعدد السفن حيث قال : « ان الاسطول العثمانى فى البحر

الأبيض المتوسط يبلغ نحو : ٤٠٠ سفينة لكنها توزعت عند حلول الخريف إلى قواعد مختلفة . أما السفن ال: ١٨٤ التى تشكل القسم الكلي فهي بإمرة برتو باشا ومؤذن زادة علي باشا ، فقد جاءت إلى قاعدة اينبختى : "Lepanto " انظر تاريخ الدولة العثمانية ج١ / ص ٣٧٢ :

أما محمد فريد بك المحامى فقد ذكر أن « العمارة العثمانية مؤلفة من ٣٠٠ سفينة - قابلت الدونانمة الصليبية - فى ١٧ جمادى الأولى سنة ٩٧٩هـ / ٧ / ١٠ / ١٥٧١ م بالقرب من (ليبنته) واشتبك بينهم القتال مدة ثلاث ساعات متوالية انتهى الأمر بعدها بانتصار الدونانمة المسيحية ، فأُخذت ١٣٠ سفينة عثمانية ، وأحرقت وأغرقت ٩٤ ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ص : ٢٧٥

ذهب مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية ، إلى القول : إن تلك المعركة حصلت بناء على دعوة البابا بيوس الخامس « Popapius.v. » وشاركت فيها بحرية البابا ، واسبانيا والوندال « Venedik » ، وغايتهم تخريب الصلح الذي عقد بعد فتح قبرص مع الوندال . وبعد الاتفاق النصراني تقرر إسناد قيادة القوات (لدون جوان) الابن غير الشرعى للملك شارلكان الخامس « Karl . v (Charles Quint) » ، وكان قوام الاسطول العثمانى مكوناً من أكثر من ٣٠٠ سفينة كبيرة مختلفة الأنواع ، وكان في البحر الأبيض المتوسط ما مجموعه ٤٠٠ سفينة نظامية ، أو عائدة للفدائيين . انظر دائرة المعارف الاسلامية ، باللغة التركية طبع وزارة المعارف التركية ، مادة : « Lepanto» أما دائرة المعارف البريطانية ، فذكرت أن الأسطول الاسبانى كان مكوناً من ٢٠٠ سفينة ، انظر «The Encyclopaedia Brtannica » ، مادة « Lepanto » ، ج٧ ص : ٢٨٦

وفى كتاب تاريخ الامبراطورية العثمانية : أن بابا روما قد أرسل ١٢ سفينة ، وأرسلت اسبانيا ٧٠ سفينة وأرسل الفنديك (Venedik) ١١٤ سفينة ، وزيادة على ذلك أرسلت مالطة، وجنوة ، وفينيسيا ١٢ سفينة . وبناء على المراجع الغربية والشرقية يكون عدد قطع الأسطول النصرانى ٣٠٠ سفينة متنوعة ، منها ٩ سفن من نوع غالون « Kalyon » ، و ٢١٩ من نوع

قادرجـة ، Kadirga ، و ٧٠ سفينة متنوعة ، وكان عدد الجيش النصرانى يتراوح ما بين ٣٠ ألف جندى و ٥٠,٠٠٠ جندى

وقد نصت المصادر العثمانية (ولا سيما كاتب چلبي (حاجي خليفة) على أن عدد قطع الأسطول العثماني كانت ١٨٠ قطعة ، ولكن صولاق زادة ذكر أن عدد قطع الأسطول العثماني هو : ١٨٠ قطعة ، وذكر مصطفى أفندى السلانيكي أن عدد القطع العثمانية التي غـادرت اسطنبـول هو : ١٨٤ قطعـة ، ولكن الأوربيين رفـعـوا العدد إلى ٣٠٠ قطعـة ، انظر صفحة : ١٢٥٢ ٣٠٠

" Osmanli Imparatorluu Tarihi VII ikincgi Kisim . is tanbul - 1965

وقدم ول ديورانت أرقاماً أخرى حيث قال : وكان الأسطول التركي ينتظر بعيداً عن ثغر ليبنتو ، وهو يضم ٢٢٢ سفينة شراعية كبيرة ، و٦٠ سفينة صغيرة ، و٥٧٠ مدفعاً ، ٢٤ ألف جندي ، ١٣ ألف ملاح ، ٤١ ألف مجدف ، وكان لدى المسيحين ٢٠٧ سفن شراعية ، وست سفن شراعية فينيسية ضخمة تحمل المدافع ، و٣٠ سفينة صغيرة ، و١٨٠٠ مدفع ، و٣٠ ألف جندي ، و١٣ ألف وتسعمائة ملاح ، ٤٣ ألف مجدف . ورفع الأسطول المسيحى علم المسيح مصلوباً ، ورفع الأسطول التركي علم السلطان يحمل لفظ الجلالة (الله) موشى بالذهب ،

انظر قـصـة الحـضـارة ج ٢٩ / ص : ١٤٢ ، وادعى نيـقـولاي ايڤـانوف: ان الاسطول الموحد للدول الكاثوليكية تكون من ٢٠٨ سفينة ، وتكون الأسطول العثماني من ٢٣٠ سفينة ، وادعى أن بيالة باشا قد قتل وهذا خلط . (انظر الفتح العثمانى للأقطار العربية ص : ٢٤٤)

وذكـر عـمـر الاسكندري وسليم المصـري ان أسطول الحلفاء شـمل ٢٦٤ سـفـينة تـحـمل ٢٦,٠٠٠ جندي و٥٠,٠٠٠ مـجـدف وبحـري. أما الاسطول العـثـمـاني فكان مكوناً من ٣٠٠ سفينة ومالايقل عن ١٢,٠٠٠ جندي ومجذف (انظر تاريخ مصر من الفتح إلى قبيل الوقت الحاضر منشورات مدبولي/ القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

ان الأرقام متناقضة وغير متطابعة ولكنها كلها توحى بضخامة تلك المعركة .

(١٢٨) انظر رقم : ١٢٧

(١٢٩) فى تاريخ الدولة العلية العثمانية : (١٧ جمادى الأولى سنة ٩٧٩هـ / ٧ أكتوبر ١٥٧١م ، ص : ٢٥٧ ، وفي قصة الحضارة : ٧ أكتوبر سنة ١٥٧١م ، وفى دائرة المعارض الاسلامية - التركية - ١٧ جمادى الأولى سنة ٩٧٩هـ / ٧ تشرين الأول سنة ١٥٧١م . وتطابق تاريخ الدولة العلية مع دائرة المعارف الاسلامية يظهر أن ما أورده صاحب حقائق الأخبار ليس صحيحاً ، وربما كان الخطأ مطبعياً . فذكر : ٧ بدلاً من ١٧ .

(١٣٠) قائد القوات البرية : برتو باشا Perteu mehmed Pasa ت ١٥٧٤م ، قيل أصله ألباني ، وقيل كرواتي ، ووالده عبد الصمد ، أنظر دائرة المعارف التركية ج٢٦/ ص٤٧٦ Turk Ansiklopedise طبع اسطنبول ١٩٧٧م.

(١٣١) القائد العام مؤذن زادة علي باشا .

(١٣٢) دون جوان : سبق في الهامش رقم : ١٢٦ .

(١٣٣) نيير : رئيس فرقة بحرية صليبية .

(١٣٤) كولونه : رئيس فرقة بحرية صليبية .

(١٣٥) المركز زانطة كروس : قائد فرقة بحرية صليبية إحتياطية ، قتل القائد العثمانى مؤذن زادة علي باشا .

(١٣٦) جان أندريا : قائد فرقة بحرية صليبية .

(١٣٧) جاندو كوردو : أميرال مسيني ، قُطع رأسه على يد أولوج علي باشا في معركة لابنتو ١٥٧١م .

(١٣٨) بايا ريغو : قائد فرقة البنادقة البحرية ، قتل علي يد أولوج علي باشا في معركة لابنتو ١٥٧١م.

(١٣٩) أولوج علي باشا باي الجزائر ، أصبح قليج علي باشا ، Kiliç ، وأصله من الأناضول ، وقد تدرب على يد خير الدين باربروس .

(١٤٠) بياله باشا : هو من قادة البحر ، وأصله من المجر التي غادرها بعد معركة

موهاج سنة ١٥٢٦م ، ثم أسلم واستلم قيادة الأساطيل العثمانية سنة ١٥٥٥م ، وأفتتح بلاد المورة وجزر البليار ، وتزوج أبنة السلطان سليم الثاني ، وتولى الصدارة العظمى ، وتوفي سنة ٩٧٨هـ . ودفن في جامعه في اسطنبول .

(١٤١) قدم السلطان سليم الثاني حديقته الخاصة التى تسمى ، خاص باغچة = الحديقة الخاصة ، لكي تتحول إلى ترسانة لصناعة السفن على الشاطئ الشمالي لخليج القرن الذهبي في اسطنبول ، القسم الأوروبي .

(١٤٢) حقائق الأخبار عن عالم البحار ، ج١ / ص : ٥٥٩ ـ ٥٦١ .

(١٤٣) قصة الحضارة ، ول وايريل ديورانت ، ج٣٠ / ص :

(١٤٤) حقائق الأخبار عن عالم البحار ج١ / ص٥٦١ .

(١٤٥) ومما جاء فى المعاهدة :

أولا: تتعهد جمهورية البنادقة أن تدفع مبلغا من المال يعادل ما كانت تعهدت بدفعه للسلطان سليمان عقب محابة (كورفو) في ظرف ثلاث سنوات من تاريخ التوقيع وقدر هذا المبلغ ثلثمائة ألف من الذهب نظير مصروفات حملة قبرس

ثانيا : تعاد قلعة صوبوتو بكافة مدافعها الى جمهورية البنادقة

ثالثا : مبلغ الخمسمائة من الدوكات التى تدفعها سنويا جمهورية البنادقة للسلطنة فى مقابل احتلالها جزيرة (زانطة) يصير إبلاغه لألف وخمسمائة

رابعا : تتعهد جمهورية البنادقة للسلطان سليم بالمحافظة على شروط المعاهدة التي أعطاها السلطان سليمان

خامسا : تعفى جمهورية البنادقة من الجزية السنوية التي كانت تدفعها عن جزيرة قبرس

سادسا : تبقى الممالك الكائنة بجهات أبانيا، ودلماسيا بين الطرفين على حالتها القديمة

سابعا : تُردُّ أو تضمن جميع السفائن التجارية والاموال التي ضبطت من تجار الدولتين

المتعاهدتين في أثناء الحرب الى أربابها الى (اهـ) من الخبر الصحيح عن هامير.

J. de hammer . op . cit . t . 6 . p . 436

قال المؤرخ كريسي في تاريخه عن واقعة البنادقة الاخيرة هذه إن الدول المتحدة ساعدت البنادقة فاكتسبت محاربة واحدة يعنى بها واقعة (لبانتو) إلا أن نتيجتها: ان أصبح العثمانيون حكاماً على البحر الابيض المتوسط باسره واستشهد على ذلك بالمعاهدة المتقدمة التي خضعت لها البنادقة بعد أن دمرت العمارة العثمانية حصونها، ولم يفقد العثمانيون من أملاكهم شيئاً في تلك الحروب وقال أيضا: انه لما بلغ حكومات أوروبا صعوبة الشروط التي التزم البنادقة بالقيام بها لحقهم كدر عظيم، وقالوا ان العثمانيين قد اكتسبوا واقعة (لبانتو) ثانية وبعد تقرير الصلح مع البنادقة أرادت اسبانيا أن تشتغل لنفسها بنفسها فذهب أميرالها (دون جوان) باساطيلها وهاجم تونس، واستولى على مدنها وقلاعها ولما علم بذلك السلطان اهتم له جداً وأمر بالاستعدادات الحربية فأخذت دار الصناعة في العمل بنشاط لتجهيز السفائن وتسليحها بحيث لم ينته فصل الشتاء حتى جهزت الاساطيل والجيوش، وفي سنة ٩٨٢ هـ (١٥٧٤م) أظهر حاكم البغدان العصيان على الدولة وامتنع عن دفع الخراج فارسلت الجيوش لقمعه بعد وقائع هائلة قبض عليه وضرب عنقه عقاباً له وردعاً لامثاله

(١٤٦) حقائق الأخبار ج١ / ص ٥٦١ ـ ٥٦٢

(١٤٧) الفتح العثمانى للأقطار العربية (١٥١٦ ـ ١٥٧٤ م) ص : ٢٤٦ تأليف نيقولا ايڤانوف ، نقله إلى العربية يوسف عطا الله ، ونشرته دار الفارابى فى بيروت سنة ١٩٨٨ م .

شارك فى هذه الحملة سيرفانتس سافيدرا ، مؤلف رواية ، دون كيشوت ، الذي حارب طواحين الهواء

(١٤٨) انظر الهامش رقم : ١٢٦

(١٤٩) الفتح العثمانى للأقطار العربية ، ص : ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، وهو نقلا عن هامر (J . de hammr . op . cit . t . 6 . p . 437)

(١٥٠) الفتح العثماني للأقطار العربية ، ص : ٢٤٨

(١٥١) نقلاً عن (p . sebag . op . cit . p . 160)

(١٥٢) الفتح العثماني للاقطار العربية ، ص : ٢٥٠ ، وبنهاية حكم مولاي محمد انتهى حكم الأسرة الحفصية البربرية بعدما حكمت ٣٤٦ سنة ، ابتداء من سنة ١٢٢٨م.

فصل الديوان العثماني الأراضي التونسية عن إيالة طرابلس الغرب وأسس إيالة تونس الجديدة، وعين حيدر باشا والى عليها في ١٩٧٣ م.

(١٥٣) نفس المرجع ص : ٢٥٠

(١٥٤) في كتاب الفتح العثمانى للأقطار العربية ص : ٢٥٢ ، أرقاماً مغايرة تفيد أن عدد سفن العمارة العثمانية هو : ٣٢٠ سفينة حربية ، منها: ٢٣٠ سفينة قتالية كبيرة: ٤٠,٠٠٠ مجاهد ، منهم ٧٠٠٠ انكشاري ، و ٧٠٠٠ (سباهي) فارس و ٦٠٠٠ سوري- نسبة إلى سوريا- و ١٠,٠٠٠ باش بوزوق ومعناه بالعربية: باش: رأس، بوزوق: خربان- ، وعدد من آخر من المتطوعين .

وبلغ تعداد قوات مولاى محمد (المدلل) من الاسبان والبدو ٣٠,٠٠٠ ، ولكن البدو خذلوا الاسبان فى ميدان المعركة بعد اليوم الأول.

وبلغ عدد القوات الاسلامية من ٤٠٠٠٠ - ٥٠٠٠٠ مجاهد أنظر تاريخ الامبراطورية العثمانية باللغة التركية ، القسم الثانى ص: ٢٧٨ .

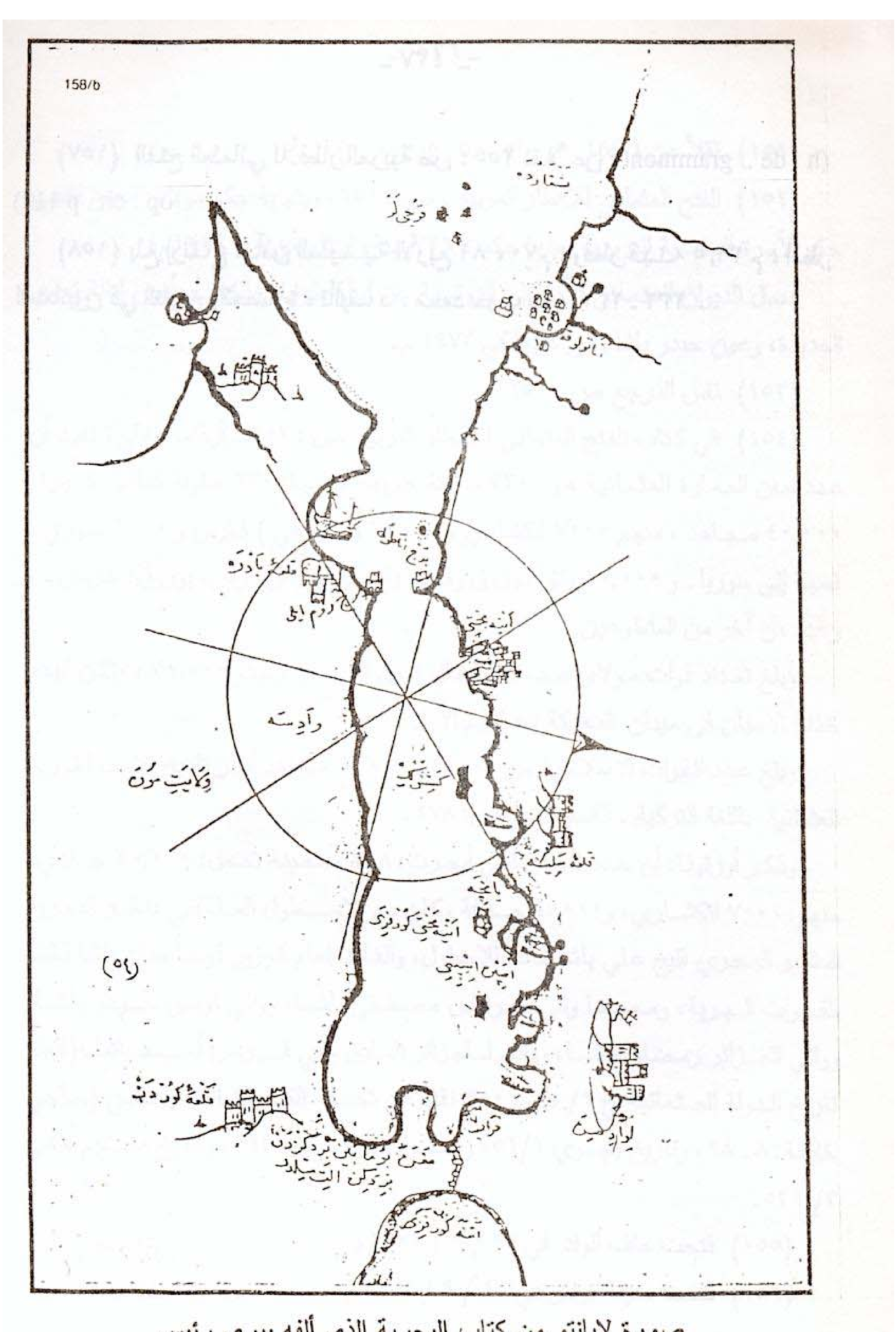
وذكر أورتونا: أن عدد السفن التي أبحرت: ٢٩٨ سفينة تحمل: ٤٠,٠٠٠ جندي، منهم: ٧٠٠٠ انكشاري، و٤٨٠٠٠ جذافة وكان مع الاسطول العثماني ناظر البحرية المشير البحري قليج علي باشا قائداً للاسطول، والقائد العام الوزير قوجا سنان باشا قائداً للقوات البرية، ومعهما والي طرابلس مصطفى باشا، ووالي تونس حيدر باشا، ووالي الجزائر رمضان باشا، ووالي لـلجزائر السابق ووالي قبرص أحمد باشا. (انظر تاريخ الدولة العثمانية ج ١/ ص : ٣٨٠ نقلاً عن تحفة الكبار لكاتب چلبي (حاجي خليفة: ٨ - ٩٨، وتاريخ بچوي ١/ ٥١، وصولاق زاده ص: ٥٩٤، وتاريخ منجم باشي ٣/ ٥٣١.

(١٥٥) فتحت حلف الواد في ٢٣ / ٨ / ١٥٧٤م

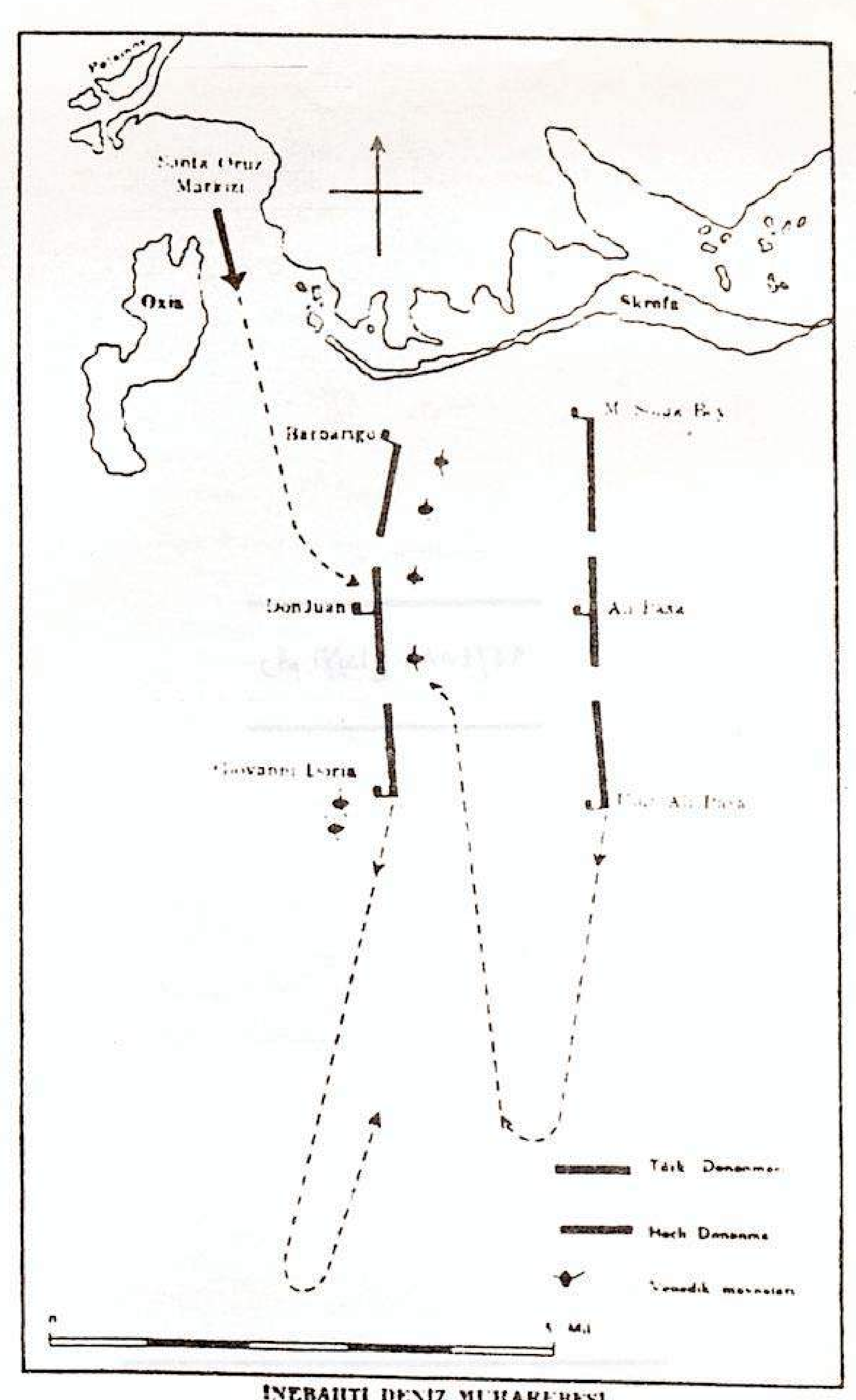
(١٥٦) فتحت مدينة تونس في ١٣ / ٩ / ١٥٧٤م

(١٥٧) الفتح العثماني للأقطار العربية ص : ٢٥٥ نقلاً عن . h . de . grammont)
op . cit . p 117)

(١٥٨) بلغ إرتفاع مـآذن السليمـيـة الأربع ٨١ ، ٧٠م ، وقطر قـبـتـه ٣١,٥ م ، انظر العثمانيون في التاريخ والحضارة ، تأليف د . محمد حرب ص : ٢٣١ ـ ٢٣٢ .



صورة لابانتو من كتاب البحرية الذى ألفه بيرى رئيس



İNEBAHTI DENİZ MUHAREBESİ
7/EKİM/1571

تشكيلات معركة لابانتو سنة ١٥٧١م

نقلاً عن دائرة المعارف التركية



مقر قيادة الجيش العثماني في ميدان أبايزيد الثاني في مدينة إستانبول